

كائنات البن

رواية

كائنات البن

بلقيس خالد
طبع في لبنان، 2017

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من أصحاب الحقوق
All rights reserved, is not entitled to any person or institution or entity reissue of this book, or part thereof, or transmitted in any form or mode of modes of transmission of information, whether electronic or mechanical, including photocopying, recording, or storage and retrieval, without written permission from the rights holders

توزيع دار الرافدين - بيروت



دارالمكتبة الاهلية- نشر - توزيع
العراق - البصرة - البصرة القديمة
جوال:- ٠٧٧٠٣١٠٣٠٠٥
٠٧٨٠١٣٩١٨٣٠

mustafaalziyyir@yahoo.com

هام: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعتبر عن رأي كاتبها، ولا تعتبر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 1 - 77322 - 336 - 0

رواية

كائنات البن

بلقيس خالد



مثل طفلٍ رضيعٍ
يتغير وجهه
في كل ثانيةٍ
قدرنا

الإهداء

إلى ..
عراقياتٍ في التصدي ..

كائنات البن

الروائي إسماعيل فهد إسماعيل

هناك حكايا عديدة ساحرة تبقى متوارية في ثنايا نص (كائنات البن) جراء طغيان ما هو شعري على ما هو سردي. رغم إنحيازي للسرد إلا إنني تفاعلتُ مع النص وشاركتُ نسوته معاناتهن وخساراتهن. هناك شفافية رائقة تأخذ بخناق الواحد وهو يتابع قراءة النص.

لا تستطيع الانضمام إلى الصمت:

شمس النهار

- هص..أص..أص.. عليك أن تلدي بصمت، صمتك ولادة كبرى.
لا.. لا ترفعي صوتَ أنفاسك.. حُسبكِ الصمت. كل شيء سيكون
على مايرام..

الصمتُ.. يقلق السمعَ يربكه: فيختضُ ويختضُ. الصمت.. ينتزع
الثقة بالحياة.. ضجيجٌ يحجبُ الرؤية: الصمت: عمى الأذنين: ربما هذا
مانحتاجهُ الآن

همسةٌ أخرى صمتاً أنتما الاثنان.. نُريدُ إصغاءً
- آه..آه..

- اص.. أولدي بصمت.. ثمة أصوات.. تدنو..

- ربما أنفاس

- الأنفاس: صوت..

.....

بعينين قلقتين منذ نصف ساعة تحديقها، بصوت حميم تتوسلها

- لا تصمتي.. تكلمي.. ماذا ترين؟

- اص..

- أنا.. سأصمتُ.. الكلامُ لك وحدك

أريدُ.... ما يدور في بصرِك..

.....

بين صخورٍ وطرقٍ وعرةٍ يتقدمون.. صاح أحدهم

- تكلم.. ماذا وجدت..؟ هل الطريق سالكة؟

أرفع صوتك..

- يا أنت أرفع صوتك.. نحن نصغي.. صاح آخر

- اص.. أخفضا صوتيكما.. وتقدما بحذر

- ماذا وجدت

اص.. أنتظر.. ثمة شيء هَشُّ هنا.

بعضاً أشار نحو جدار الكهف وضرب على الجدار ثلاث ضربات

خفيفة مشيراً إلى نقطة التركيز.. هامساً:

- نسوة..

- ضحكٌ : نسوة؟ أين..؟

- هنا.. المشهد واضح.. ما تحتاجه أنت هو الفطنة.. وأذكرك أخفض

صوتك.

- تلفت نحوهم: هل ترون.. مارأت عصاه وهي تضرب الجدار؟

رؤوس كالبنودول

- عليك بالصمت أنت تترك المكان بضجيجٍ موهوم

تساءل ضاحكاً: أربك المكان..؟! أي حالٍ نتبع، نحن المنقبون

بالوراثة عن التآريخ سعيًا لحاضرٍ خصل..

- تأمل: نسوة.. نسوة خائفات من أمر ما.. صورة رسمت على جدران هذا الكهف أنظر هناك امرأة في لحظة مخاض تتأوه.. وهن يطلبن منها كتم أنفاسها من أجل الحياة.. الحياة المشتركة.. ثمة من يبحث عنهن من خلال أصواتهن.. الصوت ضوء لذا عليهن كتمان الصوت ولا بأس بحياة بكماء.. ربما هربن من حياة لا يضيؤها صوت. ولذن برحم كهف.. أو ما يشبه الكهف، المرأة تحاول كتمان صراخ أوجاع الولادة من أجل ولادة كبرى: هي حياتهن.. هناك من يتعقب أنفاسهن.. هن يحاولن أن يكتمن الأنفاس من أجل شهيق عميق.. هناك من يصدر أصواتاً ليطلق بأرض أرواحهن رعشة الخوف.. هن يتهامسن.. هن يستمعن.. لغة الأصابع.. المخاض في أعلى حالاته.. هن بين قلق وإصرار يعملن بصمت..

هم يزمجرون يصرخون يزعقون.. لا تخلو تلك الأصوات من حركات أجسادهم المغطات برسومات أظافر النسوة..

أنظر.. هنا.. المرأة تتلوى من ألم الولادة أنظر أنها تحاول.. يحاولون هم الوصول إلى حبل الصوت.. هم برعونة يتقدمون، هن بخبرتهن يقاثلن الآلام، لم تعد تستطيع تلك المرأة: كانت صرخةً مدويةً.. صرخات متتاليات لوليد.. الوقت أنه الفجر.. التفت إلى اصحابه متسائلاً: لماذا أغلب الولادات بتوقيت انبلاج الفجر؟ هل الوليد أذان..؟

وعاد يشير إلى جدار الكهف.. ضرب بعصاه على نقطة مبيناً أهميتها.. هذه المرأة تهم بكتم صوت المرأة الأخرى ووليدها.. أشش.. قرييون جداً منا.. يشهرون أسلحةً يتقدمون يتهافتون..

ابتسمت المرأة وهي تضم وليدها هامسة: ولدتُ وانتهى الأمر، عليكن

التهيؤ للدفاع عن الوليد.. ابتسمت تلك المرأة التي في الجانب الآخر..
قائلة: هل سأطيل الصمت والنظر إليك وأنت تحدقين منذ أكثر من نصف
ساعة بهذا الفنجان؟؟ لماذا الصمت قلبي ما ترين وسأصدقك، أريد...
أسمع صوتك..

.....

من الذاكرة قفز هذا الصوت... ماذا تريد..؟ ناديتني

- نعم أريد سماع صوتك اجلسي قربي وتحديثي..

- ماذا أقول؟

- أي شيء.. فقط تكلمي

- أي شيء؟! مثل ماذا؟

- يا امرأة أشعر بعطشٍ شديد

قاطعته: حسنا سأتيك بالماء

- لا.. ليس للماء.. لصوتك..

قلبي.. تكلمي.. قصي حكاياتٍ كنت تحكيها لأبنائنا. أي شيء.. لا
يهم فقط احتاج سماع صوتك. قالها وهو على فراش المرض لزوجته..

.....

ضحك.. أحدهم.. ربما صاحبنا هذا أصيب بحمى ما جعلته يهذي
فهو يرى نساءً خائفاتٍ وطلقاً ووليداً ورجلاً عليلاً وامرأةً لصوتها خفيف
الشجر.. مابك يا رجل..؟ ضحك الآخرون.. أخذ أحدهم حجراً وراح
يخدش ما حاول الرجل الأول إظهاره من رسومات على جدار الكهف..

وتقدم آخر بمنديل ومررّه على جدار الكهف ليمحو صورة النساء
والوليد.. تراجع الرجل الأول وهو يحذرهم: أنتم أثرتم ضجة وها هي
تزحف باتجاهكم أمواج نارٍ وماء..

نلنا.. منهم: صاحت النسوة إنهم يتساقطون واحداً واحداً على حافة
جبل

إنهم ينجرفون

.....

تحررن.. وانتقلن إلى كهف آخر

ابتسم الرجل الأول سوف يلحق بكن بعض مما تبقى من هذا السيل.

.....

من..؟ تساءلت المرأة المنتظرة قراءة الفنجان، هل ولدي معهم؟

قلبت قارئة الفنجان فنجانها.. ونظرتها بصمت.

صبتُ قهوةً في الفنجان: أشرقت الأشرطة

ذلك ليس صحيحاً.. أنكِ بهذا الصمت تفتحين فراغا في أفق نفسك
تملئينه بالندم والحنين..

: تكلمي.. دعي عنك هذا الصمت..، الصمت: بحر يغرقنا البحث عن
قراره.

: تكلمي.. أين تمضين بصمتك..؟ وأين يمضي بك..؟
الصمتُ يجعل سَمْعَكَ حصوراً

: تكلمي فمن نقلت الكلام لكِ جعلت بصرك حسيراً..

: تكلمي... لليوم الثالث وحنجرتك مطفاة.. لا حقيقة لفعل وفاعل
فيما تفعلين

..لماذا تغرقيننا ونفسك في هاوية ليس لك من حقيقتها سوى إذن
سمعت؟

بين الإذن والحقيقة أربعة أصابع شهود

: تكلمي.. أضيئي عتمة هذا السمع..

صمتك يشعرنني في الميتين

: لا تتركيني وحدي قولي شيئاً.. تكلمي:

.....

ها الحمد لله الهاتف يرن سأرى ربما هو.. ألو..

.....

.....

.....

أغلق الهاتف وهو يقول: ابنا يسلم عليك وهو بخير وكل شي حوله بخير.

رَفَعَ نظره: صورة شاب وسيم يرتدي البزة العسكرية يقدم كتفه الأيسر إلى الكاميرا وعلى الكتف نجمة.. الصورة بإطار مذهب معلقة على جدار.. تنهد في سره وتمنى.. بصمت..

تنهدت ثانية وهي تتأملها ماتزال قائلة:

: جميل ماتتزينين به من ذهب..

وأنا في حياتي الكثير من الصمت لماذا تفرض نفسها على زيتتي الفضة.

منذ ساعة وأنا أحدثك عن حالها.. ابنها الذي في بلاد الغربية لم يتصل بها منذ أيام وهي منذ سمعت تلك الحكاية.. صائمة عن الكلام وجئت إليك، يبدو أنت أيضاً صائمة؟..

وضعت الفنجان..

تأملتها..

تأملتها ثانية..

قالت: قلبها في مكان وما تخافه في مكان آخر..

صوت ثالث: ويح قلبها ينبأها.. ولا يدلها..

.....

تكلم أيها الجندي.. لماذا خرجوا بثياب مدنية؟

تكلم ماذا يحدث؟ مَنْ أعطاهم الأوامر؟

صوت آخر: سيدي علينا ترك المكان حالاً...

.....

.....

آه .. آه... كابوس..

رَفَع عن الوسادة رأسه..

صديقه: كيف لا تزورنا الكوايسس ونحن نعمل كل الوقت في دراسة

الدوارس ونحوم على تركات الموتى.

جذبتهُ الوسادةُ إلى حضنها وصديقهُ رشفةً رشفةً يرتشف الماء.

على خطوط البن، امرأة تتعلم ثانية

من.. خطوط الفنجان.. بعينين احتشدت فيهما كل سؤالات النساء..
وقفت تتأملني.. في كهف أتأمل في لوحاته امرأة بعينين فيهما كل ألوان
التمني.. حيث يمطر التاريخ مطراً من حكايا وعيون تتشبث بالريح..
الحياة تطوي صفحةً صفحةً.. لا فراغ في سطورها.. وأخرى نصفها
لل فراغ.. أخرى مكتوبٌ عليها اسم ولا ظل.. لا ظل للتسمية.. تسمية بتراء
لا ظل يظلمها.. المرأة التي تنظرني من خلال خطوط الفنجان... وقفت
نظراتها حائرة.. سيارةً عسكريةً.. مسرعةً بين حياةٍ وموت.. أراد سائقها أن
يقول شيئاً.. أراد أن يدير مجرى الحياة إلى الحياة.. السباق محتدم..، هناك
من أعد مائدةً عامرةً في ليل أليل.. منذ بضع سنين شمس آفلة.. والقمر
يرتدي غيمةً.. والنجوم تتهاوى: ولاداتٌ تركت ظلها وصداها على خدِ
أم مذهولةً تبكي.. ولا تبكي.. تتعقب أرواحاً في ليلِ الفنجان..!! تتظاهر
امرأةً أخرى بمعرفة كل شيء.. خطوط الفنجان تنتفخ مثل عيونِ نعسانة..
الليل يزداد سمناً.. المرأة تنظر/ تنتظر.. قصة أخرى.. قطع الموتِ ملقاة
على.. جدران: (ال فنجان.. الكهف.. البيوت.. المدينة.. الليل.. النهار)
وحتى جدران ذلك الزجاجي المشع.. جدران لا يمكن لنوافذها ان تصد
ريحا.. موتا يطوقنا بغتة في كمين. على الجدران الناس صفا منصوداً مثل
كتبٍ منتظمة ومختلفة في قاماتها... المرأة مازالت تنظر سماءَ الفنجان

ومازلنا نتأمل في الجدران.. المرأة تحولت غيمةً في صيحة البرق.. تمطر حلمها.. رافق الحلم رجلٌ يحمل حقيبة ملامى بوصايا عاطلة.. الجدران تن.. الخطوط تنتفخ مثل خميرة.. المرأة من خلال الخطوط تنظرنى.. أنا السائر بجانبى مثل جريح.. لا توازن يسايراني على الخطوط وحول ليل هذا الفنجان.. ولا جواب.. أو نهاية واضحة للحياة. أقلب جدران الكهوف أتوغل.. أتوارى.. تتعقبني تنظرنى بياس.. تحولني ألوم صور.. تطالعه امرأة مصنوعة من صبر.. تنظر لي من ... الفنجان..

ليتها ترى آخر مسجوننا خلف الخطوط هو من يحتاج سؤالاً، لا أنا.. أنا الذي أتوهم الغربة هدأة بال.. عيناها تتسعان المرأة المحدقة.. يمكنها ان ترى في الفنجان أبنين.. ولا تتجاهل اي قطرة دمع أو دم.. يمكنها رؤية حطام أي شيء.. يمكنها أن تسرح نظرة مبللة في النهر المضيء بالنجوم.. لكنها للحظة نسيت النجوم.. كما لو أن سماءها آمنة.. عليها ان تراقب ببطء ربما من الأفق يخرج شيئاً: إشارة.. خبر.. يجعلها تفهم..

من خلال خطوط الفنجان امرأة.. تنظر إلي.. اقتطفت لمحة باختلاف زوايا المنظور... همس.. جر حبل نظراتها.. كل شيء بخير.. تنهدت متسائلة المرأة التي

.....

- اذا كان كذلك فما بال قلبي يقلقني..!؟

ثم.....: هبيني رشفة من فنجانٍ آخر

وامنحيني وقتاً.. ربما أتعلم أبجدية البن.

زهرة بريّة في دخان الأزياء

- هنا يا ابنتي البدلة التي تريدين.. هيا لندخل..

- انتظري..

(أمسكت بذراعها لتوقفها: والدتها)

- مابك.. دعيها تدخل: قال الأب

- لا.. دعنا نعود..

- إلى البيت! ما بك؟ ماذا حدث لك؟ قبل قليل كنت أكثر إلحاحاً

منهما في طلعتنا هذه!!

- دعنا نعود.. لا نريد شيئاً

- هيا أدخلوا.. ابنتي الجميلة سأشتري لك البدلة.. وأنت اشترى لك ما

تريد يا بطل.. وهو يضع يده على رأس ابنه.. وضع يده الأخرى على كتف

زوجته.. دخلوا محلاً للأزياء

الطفلة تتأمل بدلة وردية يزين أطرافها دانتيل أبيض اللون تنتشر على

بياضه فراشات ملونة.. وقفت قربها والدتها.. ذهب الوالد تجاه مكان

البائع: لم يجده. المحل واسع.. فيه من البضائع كل ماتحتاجه العائلات..

الأب والولد بين البضائع: يسيران بحثاً عن شخص ما ليسأله الأب عن سعر البدلة، لمح الإين في الرواق ثياباً أعجبتة وافقه الأب.. لحظتئذ. انتزعهما صباح الابنة..

- بابا بابا .. أنا خائفة

هرول الأب وجدها تمسك بساقي أمها مولولة.. ملامح الأم ترتجف..
وجّه سؤاله للأم: ما بها؟.. ما بك أنت؟!

- لا أدري ثمة حركة مريبة في المكان رأينا ظلالاً و... لا... يوجد سوى... أشباح تتحرك!!

- أشباح! مستغرباً وأردف ضاحكاً وهو يكرر أشباح؟ ما بك؟ منذ وصلنا المكان وأنتِ منزعجة.. هل أنتِ على مايرام؟
- نعم. ولكن هذا المكان..

وهي تتلفت فجأة ظهرَ ظل واختفى وظهر آخر واختفى صاحت الزوجة:

- أنظر.. أنظر.. هل رأيت؟ إنها اشباح صدقني.. لنعد لبيتنا
- ابتسم وهو يتفحص المكان قائلاً: هذه الظلال ربما هي بفعل إضاءة من خارج المحل.

تزايد عدد الظلال... تظهر فجأة وتختفي

تمسكت الطفلة بساقي والدتها: ماما أنا خائفة دعينا نجلس.. أين صاحب المحل؟

انحنى والدها وقبلها: لا تخافي لا شيء هنا.. هذه خيالات الإضاءة..
أنتِ طفلة شجاعة.. انتظري هنا مع ماما... سأبحثُ عن صاحب المحل.

صاحته: لا بابا لا تذهب أنا خائفة.. دعنا نأخذ البدلة ونخرج..
ابتسمَ وقبلها ثانية.. هذا أخوك سيبقى معكما وأنا سأبحث عن صاحب
المحل..

الظلال تتكاثر تظهر وتختفي حتى شعر الأب بشيء من الخوف.
المكان هادئ جداً ولا سواهم فيه.. يبحث وهو واثق لا أحد في المحل
ولكنه يبحث ويبحث ويعود على صوت بكاء ابنته. زوجته تفتش
السيراميك محتضنة الطفلين..

فوجئ بجلستهم أسرع وأنهضها: ما بك؟ ماذا حدث أراك شاحبة هل
تشعرين بألم ما.. أمرضة أنت؟
زوجته ألجمها الخوف..

الطفلة تبكي تحضن أمها / تحضن أباه. تتوسل: أنا خائفة أين
صاحب المحل لماذا ترك المحل الآن؟! (يلا) أريد البدلة نأخذها ونخرج
من هذا المحل الشرير..

ابتسم والدها مماًزحاً: الشرير؟ وأنا أيضاً سأصبح شريراً.. صرخت
بين باكية وضاحكة:

- لا بابا لا.. دعني.

- لن أدعك أنا الشرير أريد التهامك أيتها الزهرة البرية

ضحكت الطفلة حنئها وسحب بعض الكراسي وأجلس زوجته وابنه
وجلس محتضنا ابنته:

- سنتظر قليلاً صاحب المحل.. ربما خرج لأمر ما.

كانت ثمة حركات وأصوات مبهممة ومخيفة تصدر بين حين وآخر حتى تملكهم الخوف وشعر الوالد بضرورة الخروج من المحل. ولكن الطفلة متعلقة بالبدلة.

قال: هذه آخر محاولة سأذهب خارج المحل ربما أجد أحداً ما، فأنا أسمع صوتاً بالخارج ربما يعرفون أين صاحب المحل.
وهو يهم بالخروج توصلت ابنته: بابا لا تتركنا وحدنا..

فتح باب المحل وخرج فارتفع صوت ابنته باكية بابا بابا لا تذهب وتركنا أنا خائفة بابا..

الأب غمرته أضواء قوية وأصوات متقطعة: ها هو إنه يعود إنه حي ضعوا له الأوكسجين.. صوت ابنته ينادي: بابا بابا أنا خائفة. التفت إليها قائلاً: أنا قادم لا تخافي أنا قادم..

- صوت آخر يقول: لا إنه يغادر حاولوا معه.. إلا... أنه..

توقف الصوت

ثمة حوقة ..

صوت آخر: خذوهم.. لم ينبج أحد من هذه الأسرة.

المكان مزحوم: ناس.. سيارة إسعاف.. سيارات متنوعة وثمة دخان وحريق ومبان متهدمة.. والكثير.. الكثير من الجثث.

.....

بتلك العشة: أقود جهاتٍ نحو بوصلتي..

- أنتِ لا تشاركين أحداً في أي شيء ..
همست بحسرةٍ: قصدكِ .. لا أحد يشاركني ..
لم تعر اهتماماً لما همست .. أكملت حديثها
لا شيء سوى إنهيار الحلم ذاته من بين جفنيك ..
على رأسك سماءٌ مكتظة .. كأرض معركة ..
شمعةٌ أخرى بيدك تشعلينها وتشاركينها احتراقاً ..

سبب كبير يجيء بك ونساء كثيرات .. تنكسرن واحدة واحدة .. وربما
ستنام بعضهن بسلام بينما تجمعين أنتِ صوراً شتى من تحت رموشهن
في الصباح .. وقد تعودين إليهن ولكن لن تعودني واحدة منهن .. سينترع
الظل عنهن .. وعواء الذئب المجروحة: نعيهن .. أنتِ تحملين سماءً على
رأسك مثل علامة تعجب .. كل ما حولك أجوبة خاطئة .. وستسمعين من
يتحدث مع ذاته من خلالك .. فصبراً جميلاً ..

- ماذا تقولين .. هذا لغو .. يا دجالة تبالغين بالبن لتصبيي فناجيننا بالعمى

.....أمي .. أمي .. استيقظي ما بك؟

كل همك صار الفنجان والقهوة.. نائمة تحدثين البن، مستيقظة ...
الفنجان .. ماذا جرى لك..

- آه.. آه.. كان حلماً.. وربما كابوساً.. هذه المرأة المجنونة لم تقل في حياتها شيئاً يبشر بالهديل.. كل فناجينها مظلمة مثل روحها.. أصدقك القول يا ابنتي هي تضع الكثير من البن في القهوة.. كي تقلقنا ونكرر زيارتنا.. ولا يهتمها خوفنا وقلقنا على الغائبين..، معذورة: لم تنجب سوى ثلاث بنات، أصبحن متعلمات ومتزوجات وكل واحدة منهن تعيش في بيت مستقل عن الأسرة الكبيرة، والكريم رازقهن بزينة الحياة الدنيا.. ولا شيء يشغل بالها لا جبهات قتال ولا بطالة خريجين.. ولا غربة ولا انتظار..

إذن.. لماذا تذهبين إليها كل يوم.. وأنت أيضاً ليس لديك أبناء في الجبهات.. والغائب يطمئنك كل يوم.. ولا هم لديك سواي .. تحاولين جاهدة تعاستي..

- تعاستك..! اهذا جزائي.. أنا أفنيت عمري بعد وفاة والدك في تربيتك ورعايتك.. وها أنت أكملت دراستك وتوظفت.. ماذا ينقصك؟!

- ينقصني سرير عريض بوسادتين وبطانية لشخصين.... العمر يمضي وأنت تمنعين ذلك.. تقولين لوالدة صديقتي حين أخبرتك أن ناسا كلفوها بالبحث عن بنت الحلال لابنهم. وحدثك عني.. قلت: لست بنت حلال؟!

- بالفعل أنت لست بنت حلال..

- ها أنتِ تسيئين لك

- لو كنتِ بنت حلال لما فكرتِ تتزوجين وتتركينني...
نهضت وهي تقول: قارئة الفنجان خير من الثرثرة معك.
- قارئة الفنجان مرة أخرى.. يا إلهي..!!

- نعم قارئة الفنجان، عسى تبشرنا عن أبناء جارتنا، هي لا تؤمن
بالفنجان.. لكنني قلقة على أبنائها واحد في الجبهة وآخر في الغربية..
الذي في الغربية لم يتصل منذ أيام.. كل همه يتزوج أجنبية ويقيم في
بلدها.. ذلك ما أخبرنا به أخوك. وهي وزوجها لا حول ولا قوة.. عليّ
أن أبشرهما بما يسعدهما.. وأنتِ اسمعيني زين اقطعي علاقتك بالشاعر
البائس.. فأنا سمعتك تحكين وتضحكين عبر التليفون معه.. اياك واياك..
وإلا سيكون كلامي مع والدته.

- أمي.. اذهبي ودعيني..

صاحت بحرقه

.....

.....

- ويلى ويلى..

- أمي.. ما بك توا ذهبت مثل ريح..!!

- المسكينة قارئة الفنجان... يا ويلى.. يا ويلى..

- ما بها..؟

- وجدوا ابنتها وزوج ابنتها وحفيدها وحفيدتها في سيارتهم بالقرب
من محل أزياء، ميتين.. يقولون حدث تصادم أثناء انفجار عبوة ربما

قتلتهم الشظايا أو.. التصادم أو الصدمة لا أدري ماذا.. ما وصلوا للسوق
ولا اشتروا البدلة التي تمتتها حفيدتها.. الانفجار أو صلهم للآخرة..

- من أخبرك..؟

- جارتها أخبرتني.. هي لم أجدها.. ذهبت لبيت ابنتها.. نعم أكيد
تذهب فهو مليء بالأشياء الثمينة والمال والذهب.. وإذا تتأخر.. عيال
ابنتها يسبقونها إلى كل ذلك..

قالت ذلك وقد تغيرت نبرتها ولمعت عيناها..

- أمي.. ما قيمة ذلك فهي خسرت ابنتها وحفيديها.. أمي توا تحدثني
عن راحة بالها..

- إياك.. إياك.. أن تقولي ما تفكرين به...فكّري بشكل واقعي.. ألم
أقل أنك لست بنت حلال.. وستبقين هكذا.. وإلا كيف تقولي بأنني
السبب في موت ابنتها وحفيديها..؟

- لم أقل

- بل قلت أنا سمعتك.. قلت بانني حسدتها.. أنا لست حسودة ولا
أتمنى سوى الخير لكل الناس.. تعسا لك من بنت.. سأذهب لبيت الجيران
أخبرهم بفاجعة قارئة الفئنان. وأطمئن على حالهم وأخبار ولديهما.

- أمي علينا أن نتحدث قبل..

- بماذا نتحدث..؟

- أنت تعرفين أننا نحب بعضنا وهو يحترمك ويقدرك كثيراً لماذا
تمانعين الزواج؟

- ولماذا لا أمانع الزواج.. شخص حافي لافي لا يملك من دنياه

سوى ثرثرة يسميها شعراً.. كيف سينفق عليك وعلى ما سيتكون من هذا
الزواج..؟ ها اجيبي.. انت تتبعين كلاماً مرطباً بالخمير.. وذلك ما يجعلك
سكرانة ولست بسكرانة.. أفهمي يا ثولة

الواقع شيء ورسم القصور على الاوراق شي آخر..

- هو حاصل على شهادة جامعية ويبحث عن وظيفة والمستقبل أمامه..
أما الشعر فذلك فطرة ليس مسؤولاً عنها.. أرجوك أمي وافقي فأهله
يلحون عليه يريدون ان يزوجه وأنا والله أموت.. أموت إذا تزوج غيري..

- اسمعي يا بنت.. أنت بحاجة لمن يؤدبك يبدو انني فشلت في تأديك
علي ان أعيد النظر في ذلك وستلاقين مني وجه آخر.. وذلك لمصلحتك
يا ثولة.. اذهبي إلى المطبخ أنا جوعانة.. حين أعود من بيت الجيران يكون
العشاء حاضر..

.....

.....

- مثل قهوة.. ايميل على الجدران..

عممة بين عمتين: ظمأي، ولعلي ارتوي أنظر في عين تنظر في عين..
وكلانا لا يروي عطشنا فنجان قهوة.

- عليك أن تذهبي إليها.. قالت امرأة كانت تصغي للحديث:

- من..؟

- ابتك.. كفاك حديث عنها وعن الشاعر فأنت تثيرين في روحها رماد
أرصفة محترقة.. اذهبي اليها جالسيها.. حاولي طمئنتها.. كي تصمت..
همسها يعلو شيئاً فشيئاً وفي ذلك وأدنا.

الأشجار التي تنتظر..:

تباغتها الريح

ماذا تريد.. فنجان قهوة، كيمر وكاهي،..؟ وهي تفرك نعاس جفניה.

- لا تسخري.. أعرفني جيداً لست من الذين يسرون على خط.. أنني أسير حاملاً كل خطوط الفقر على رأسي. هاتِ استكانة شاي وخبز تنور الطين وشذرة دعاء..، الفجر شقشق ومسطر أم البروم ينتظرني.. هكذا ربتني ذات الجرغد المعفر.. بالملح تغسلني وتقول: لملح هذه الأرض أنجبتك.. كن قويا لتفهم مساماتك كلام الملح والتراب..، الملح: دم هذه الأرض.. وبالملح سقيها تلك البقعة المباركة المملحة بأصاحي أكبادنا في سنوات الجمر وبالملح كانت حراسة الحناء.. الملح دمنا/ دمها الطهور، وإذا مسها وضراً / ضرراً، ليكن غسولها بدمك.. وفي هدأة البحر.. في وليمة السمك الصبور، أغتسل بعرق جبينك.. صار كلامها وصيةً، و... وصيتها تعويدتي ومصباحي اليدوي: لجمتُ اسلتي.. أصغيتُ وحفظتُ.. وها أنا أستدرك بيقظة متأخرة: لماذا ومضة برق: كلامها عن الحياة؟ أليس هناك ما يستحق البقاء على اخضرار الشجر؟ لماذا حولت لحظتي ثكنة تدريب على الموت؟! لماذا زجرت طيور أحلامي؟.. وهي تعلمني العمل.. هل بالعمل ألغت مني عطل / عطب الإنتظار..؟ ربما

تريدني الأول وليس التالي، لذا لم تعلمني تحمل أمزجة الأبواب عند
الفتح، هي وحدها من وهبني أصابع نجار، فصحت بالخشب كن..
فكانت الأبواب، ثم علمتني دورة المفاتيح في اقفال الأبواب

وهكذا أكملت دورة تعليمي لسواي: وها أنا البتاء البواب، أبني
الأبواب وأفتحها لسواي أولئك المغتسلين بالندى والرحيق.. في لحظة
تسامي، تستطيل بهم رموش الغواني.. أولئك.. لا يرون الأرض حتى
بأقدامهم.. كأن مسيرهم طيران منخفض.. متكئون على الارائك بالتقابل
ويشربون كؤوساً من معين.. هم لا يروني ولا يكثرثون لي..!!

إذن لماذا ذات الجرغد المعقر اختارت لي ملحاً وتراب الأرض
وتركت لهم شهوات الأرض.. تلك من العجائب الأكثر غرابة.. الشاي
وخبز تنور الطين، كل واشرب والتحق بهم.. قالت ذلك وهي تضع على
بساط من صوف ملون صينية صغيرة تحمل استكانة شاي ورغيفين..

صَحِيحَك: ألتحق بهم.. ذلك حلم.. وذات الجرغد.. تعتبر الحلم عيبافي
الرجال. رفعت حاجبيها وهي تنظره قائلة: تناديك أم البروم.. أسرع..

صوت امرأة أخرى بعد السعال: أنك أكثر سعادة منهم.. وما اخذوا من
الأرض سوى ترف النساء وأنت اخذت قوتها وجبروتها.. اذهب اذهب
ياولدي وابحث في تراب الارض عن تعويدتك..

قليلاً من الهدنة أيها البؤس.. آه.. أحاول جمع حكمة أمي.. وابعثرها
لريح.. يتلقاها شليل زوجتي وتلمها قائلة: انها أرث ابناؤك..

.....

.....

على بساط من الصوف الملون وضعت صينية عليها ستكانة شاي
وخبزاً من تنور الطين.. وقالت: كُلْ وعَجِّل.. كان والدك قبل شروق الفجر
يذهب وها انت الشمس اشرفت وما زلت تتمطى.. انهم يحتشدون.. عليك
ان تلحق بهم.. تحتشد معهم. نظر اليها ورفع نظره إلى صورة رجل يرتدي
ثياب عسكرية معلقة على الجدار.. واستغرب قائلاً: أُمي انظري.. والدي
يبدو حزيناً وثمة دمع يسيل من عينيه..

تحت جفنيها تساقطت الصور.. سحبت طرف فوطتها السوداء اللون..
الفوطة التي جعلت منها مقبرة للدمع...

.....

.....

لا تشابه في الحلم

حين ركبت الحقيقة يقظته

وجد نفسه حزيناً

مثل نخلة فقدت شعلتها الخضراء.. ذلك ما وجدوه مكتوباً على
الجدار المقابل لبقايا الجدار.. مكتوباً بمزيج من الدم والطين مما جعل
اللون حين بللته الشمس مثل نبوءة البن على جدار الفنجان.

بذرن بالصوت الحجر.. أينعت أغصان الحكاية

بلا تذكر منضود.. أقتفي الاحداث في حل هذه الرموز.. ما الذي قاله
حجرٌ لحجر..

يا إلهي ما هذا الصمت.. لماذا طلبنا منها لجم الحجر الثرثار..

لماذا اسكتناها... وأسكتنا الحجر

ماذا حدث لماذا هبط الصمت.. هل غادروا..؟ غدرونا؟ غادرنهم؟

ماذا.. ما هذا.. هل أنا أهذي.. محمومة.. أنا؟

يتحرك غراب تجاه قفل..

ونافذة تفتح وهذه.. أنها تضيء شمعةً خلف النافذة..

والفأس تحيط به أشجارٌ كثيرةٌ.. ما هذا..؟ ما الذي تحكيه هذه

الصخور؟

هذه الصخور سرقت صوتنا.. انهضن

هيا انهضن.. هيا.. هيا علينا الخروج.. الكهف يتلعلنا كما ابتلعت

صخوره صوتنا..

هيا.. قمن لنخرج..

- الظلمة.. الظلمة تقيد خطواتنا.. صوت امرأة اخرى.

- انظري الصخور تقول ثمة شمعة خلف النافذة.. اجابتها.

- ربما نتعثر.. والتعثر صوت آخر يرشدهم الينا.. صوت امرأة ثالثة

- اضبطي خطى التنفس كي لا يسرق صوتها التعثر.. همست امرأة

رابعة

- هص.. تقدمن بصمت.. همسكن: مَدُّ يعلو.. معه تسارع خطاهم:

يعدو..

امرأة خامسة.. بالسَّبابَة والفم ترسم صليباً

- لن اتبعكن لم يبق لي ما يحثني.. قتلوا كل رجالي وإغتصبوا ابنتي

الكبرى حتى الموت.. سأمكث هنا مع بناتي.. وسأصلي كي لا يجدونا..

امرأة سادسة وهي تضم اليها ثلاث فتيات بعمر الورد..

- بين قوسيّ يمينك / يسارك هو ما يحثك: معنا هيا.. امرأة سابعة

قالت: ذلك وهي تحاول ان تساعدنا وبناتها على القيام.

- أكثرتن اللغو.. علينا العمل بصمت.. المرأة الاولى وهي تتقدمهن

تطلق طيور عينيها من عين الكهف.. فضاء ممتلئ بالظلمة والمجهول..

عيون الكهوف خليط عجيب والشتاء: طائر.. جائع يحوم

هذه التواءات الصخرية المعطلة.. لا تؤمن بوجودنا ولا تؤمن..

نعد على الهمس حشرات الروح

تقدمن.. تحنهن وهي تسحب جسدا نما رقيقا كما تشتهي الريح

.....

.....

صاحت: أنت تغشين..

- ماذا.. اتقصدينني بهذا الكلام؟

- نعم.. انت تضعين الكثير من البن.. ليبدو الفنجان أكثر ظلمة

- أين الفنجان..؟! من سمح لك بالنظر اليه أنا قلبته وانتهى دورك.

- أنت قلبت على صمت وعلي أن أعرف ماذا قال.

- اصمتي انت.. انتهى دورك. اخبرك الفنجان: ما يقلقك.. أقرب إلى

الله منا.

صوت آخر متحشرج:

- إلا... صبيت لي قهوة..؟.

حبة ندى.. لا شمس لفجرها:

دمعتي

بكلِّ إصرارٍها لم تستطع اقناع والدتها.. بكفيها حضنت يد أمها نظرت في عينيها.. كانت تبحث عن بعض أمل.. ذهبت بعيداً.. تاهت في نقطة سوداء على جدار أبيض.. أرادت شيئاً آخر.. ترددت هامسة: لا تكوني ذلك القدر.. الذي فصل حبيبين.. ارتبكت أمها سحبت كفها وشاحت بوجهها قائلة: ليس الامر بهذه البساطة.. ابن عمك يريدك زوجة له.. وأنت تعرفين (النهوه) في عشيرتنا وذلك يعطيه الحق بحرمانك من الزواج مدى الحياة.. اذا عرف والدك بالموضوع قد يتعرض الشاب وأهله للأذى ويتم تهجيرهم من القرية.. ابوها في غرفة أخرى من الدار يتحدث ساخراً حين اخبروه بمن سيحتشد وذكروا اسمه:

- هذا ابو شعر الطويل والحاجب المشذب.. أيضاً سيحتشد!، كيف سمحت له أمه وهو وحيدها المدلل..؟

أصابه الحزن نهارها والكثير من الضوضاء في رأسها. شجرة الرمان كانت مثمرة.. انظري ما فعلت بها قسوة الشتاء.. ضحكت صديقتها قائلة: ولكن يبدو للبلاب غير العاشق.. في قلبها فراشة مزقت شرنقة.. على اغصان شجرة الرمان ازهار اللباب بيضاء يتدفق بداخلها خجل اللون الوردى.. التنافر الصعب.. اليأس يستطيع ان يحلم...، يأمل؟.

.....
.....
المحتشد... في لحظة هدنة.. على أكتافه اجهضت عاصفة حملها
ومضت.. جلس بظل بقايا جدار تأمل وجوه زملاءه.. مثل الذي يتأمل
وجهه في مرآة.. ادار نظره نحو الافق تراءت له ابتسامتها.. توغل إلى
داخله اراد غسل عينيه من كل هذا الدمار.. تطلع إلى سماء جهاز الهاتف
تصفح صورها.. على السرير الدافئ ارتمى والدها بينما أخذت امها تدلك
جسده المنهك من العمل طول ساعات اليوم في محل البقالة..

اخوها يهيئ حقييته للالتحاق بالحشد بينما أخواها الأصغر ان يحضران
لأمتحان النصف الاول من العام الدراسي.. خلف النافذة نظراتها تتأمل
الرصيف.. في السماء يحلق عصفورتان..

.....
.....
كانت مثل قطرة متدلّية من شرخ في سقف، تحت سماء نشفتها الريح
من المطر. جسدها كالبندول، عيناها وحدهما توجهتا نحوه
من عينيها أنبجس صوت بليل: أربكني صمته.. متى تتلطف بي أيها
الباب .. امرأة.. في البيت الآخر. بينما انتحبت جارتها: مرارة الريق
انبأتنا... فبكيناهم قبل الرحيل. وهي تستلم الوطن: علما مسجى.

لصّ يلبد: حدسُ بني في شفة الفجان

خوفاً من طارئٍ قد يزعج لذةً يسعون إليها: تتسارع خطواتٌ عصبية لشخصٍ سبعة.. ربما عشرة لا..ها هم يتكاثرون.. وتتكاثر الخطى.. تلتهمُ جلدَ الطريق المجدّد وينشطر سبعة اتجاهات بصرهم وربما أكثر.. يلوكون غضباً ويصقون شتائمَ.. تتبعهم ظلال مثل أشباح مستنفزة تتقافز على جدران الصخور.. أصغأؤهم جائع لنوح نيات منكسرة..

شتاء ثقيلٌ مربد.. وبصمت تتجمع كل جرائم العالم والوقت ملآن ظلمة.

الأشخاص السبعة.. العشرة.. وهم يتكاثرون.. يواجهون إنتظاراً لا يطاق، ورموزٌ سلخت كلماتهم.. قال أحدهم: هل من يستنطق هذه الجدران الخرساء؟ ماذا يعني رضيعٌ يعتصر قلبَ امرأةٍ تلهم ناراً؟.. ماذا يعني قلق هذه الوجوه الشاحبة؟ وما هذه؟!.. ثقوب..؟ أبصار..؟ ام مسامير من نار..؟

تعال ألقِ نظرةً هنا وقل لي بربك ماذا يعني هذا..؟ وهو يمسك بيد شخصٍ آخر ويقرّبه من الجدار.. تردد الآخر دون ان يقترب قال: الدسائس والقلق حشوة هذه الكهوف ..

وبفضولٍ يريد لعق الرموز قال الثالث: هذا تفاوض مع الموت..

صاح الرابع: ... أين الطريق..

الظلام يتسع.. حَطَمَ الرابع حجرا على الصخور

الأعضاء مستنفرة وعليها أن تؤدي دورها.. ضحك الخامس:

هذه الرموز لعبةٌ تمثيليةٌ صامتةٌ مصحوبةٌ بالضحكِ والبكاءِ

وبضعةِ أفكارٍ من امرأةٍ حاملةٍ عليك ان تمسكها لتؤدي أعضاؤك..

دورها ولك البطولة المطلقة: عوى السادس واللعباب.. يطلي كلماته وفي

عينه اليمنى ومضة ماكرة، ضحكوا وصوتٌ سابع: ماذا أقول.. وأنت بعينٍ

واحدةٍ خصبةٍ بأشياءٍ منسية.. وأضاف: أنظروا.. طريق إلى اليمين وطريق

إلى اليسار.. وهذه الكهوف: جحيمٌ جائعٌ بشكلٍ مفترس..

- جائعٌ ومفترسٌ.. أتذكر.. قال السادس وهو يتسم..

حين كنا نتدرب على كل هذا قالوا لنا سيحيينا مخلوقٌ جائعٌ يفترس

من لا يتبعه...، أنت وقتها خفت..

- كذب لم أخف.. وقفت حينها لأراه.. وأضاف

- كيف تتذكر كل ذلك ونحن كنا تحت التجارب والتصنيع؟ قال

الثالث.

- أتذكر قالوا لنا سيمنحونا قوةَ هرقل وسلطة الأله. قال السادس

وبالفعل أصبحنا.. أنظر ماذا فعلنا..

تساقطت العروش

والبلدان أصبحت في قبضتنا. وبمشيئتنا.. نحوي ونميت ونميت

ونحوي كما يقول كتابهم.. ضحك وأردف أقصد كتابنا.. الله اكبر. كبروا.

ضحكوا صائحين: الله اكبر .

- عليك ان تعتذر مني الآن.. قال السابع للسادس

- عن ماذا..؟ تساءل السادس مستغربا

- أنت قلت أنني خفت حين قالوا سيأيتنا مخلوق جائع مفترس .

- أنا.. لم اقل ذلك . رد السادس

- بل قلت.. قبل قليل .

- لم أقل.. ولم أعتذر عما لم أقل . ولا تهددني لأنني سأشكوك إلى..

- لم اهددك.. أنا أنضحك

- لا أحتاجها منك

(.. كأنه يستدرك أمرا)

ما التقيتك قبل الآن ..

- كيف..؟ ألم نتدرب على كل هذا معاً..؟

- لم أتدرب على شي.. لأنني خُلِقْتُ لما أنا عليه ..

- لحظة ثمة أوامر.. قال الأول وأردف: مَنْ اسمه..؟

والتفت إلى السابع مكررا سؤاله: هل أنت اسمك..؟

- لا.. أنا اسمي.. ولا اسم لي . أجابه وأضاف: ربما هو وأشار إلى

الخامس .

- ماذا.. ماهو الاسم؟.. ربما أنا.. هل أنت متأكد وجه سؤاله إلى

السابع ..

- لا عليك.. لا عليك.. ربما هذا.. مشيراً إلى الرابع..
- أنا أتذكر اسمي.. نعم انه هو اسمي.. قال الرابع وهمس مبتسماً كنت
أتمنى ان امتلك اسماً..
- لا لست أنت. قال الأول.. والثفت.. لعله أنت وهو يضع يده على
الثالث..

- لا ادري.. ماذا ترى أنت.. هل هو اسمي..؟
- ليس مهما.. اسمك أو اسمه.. المهم أن احداً منا سيأخذ هذا الاسم
ويعود إلى الأرض.. وهو أنت مشيراً إلى السادس.....
.....

- ما اسمه..؟ همست مبتسمة وهي تنظر وجهاً مثل قمر..
- من..؟ تسألت الأخرى لاهثة الأنفاس
- هذا الوليد.. ماذا أسميته..؟!
- لسنا بحاجة للاسماء.. أصبحنا ذكورا وأناثاً، بشراً ووحوشاً. ما
أدراني ربما ولد ليموت بأي لحظة يجدوننا فيها.
- نتحدثن عن الموت.. ونحن جثث تحركنا أحلامنا.. همست الأولى
وأردفت لا تكثرن الهمس.. تقدمن بصمت..

في فهم الحكايا: ظلام مصفى: صمتهن

- يمكنني أن أرى اشباحاً.. تتحرك.. خيالات.. تماثيل.. اشخاصاً
مبرمجة.. تتحرك تجاهنا.. تجاه كل شيء
تكشف المستتر.. بعورة التأريخ، تشوه وجه الحاضر وتدس اصبعاً..
بأنف المستقبل..

يمكنني.. أسمع أصوات مآربهم.. في الإنسان، الحيوان..
في الحيطان رسائل كثير مهمة
أنظرن إلى خطاهم العشواء ربما المُسيِّر أھوج أو خائف قلق
أنظرن إلى خرق يلبسون إلى لحي وشعور منفوشة وثقل ما يحملون
يقطعون بقسوة لحم الحياة والبشر.. وضد الحياة حياتهم ولدت.
اليوم الدامي تلحقه دامية الأيام تمتص في لحظة الاسماء
يقطعون الظل.. الحجر، الشجر، الطير، البشر.. فيصير كل شيء قريب
جدا إلى الفناء..

بضعة كلمات من التي يمكن أن يتلون لها المستمعون.. رؤوس

مهطعة.. ورؤوس تتدحرج.. والمُسَيَّرُ يفكر بكل ذلك بشكل مستمر قبالة
كؤوس مترعة.. لا ماء ولا خمرة ولا شيئاً مما يشربون.

كائنات من الغبار ولدت غرست في الأرض جذرا سينمو للأبد تحت
ظلّ سمائنا.. وطننا..

الغراب يطير..ربما بوم..ربما طائر آخر يطير.. داخل الجدار.. على
الرؤوس.. يحمل كأسا فارغا.. يبحث عن الذي تقطر إلى الأرض حجرا..
وترابا.. ويصيح: اسقوني اسقوني

.....

ونحن نحاول حمل الوليد بين جناح ضعيف وآخر منكسر.. في هذه
الظلمة نجري هل نستطيع ان نرى أملاً أو ما يشبه الأمل؟
كيف.. والفوضى تطلب الفوضى والحياة تخزرننا..
وربما أصابها العمى مثل كل الأدعية...

- ليتنا.. نجترح خطوةً جديدةً تجاه التل نوعد الشعلة ونطوف ونطوف
بنا ألوان الثياب والأناشيد والصوت يراقص الصوت.. صوت آخر..

- جائعة هذه الجدران.. ندس في أفواهاها الصور، الحكايا والأساطير
فتتحول رمزا.. خصلة ضوء تمر من خلالها.. تتحول الرموز كلها صوت..
ما أن يطرق السمع يذهل البصر

بين الكهوف نسير وننظر معطلة لغة الصوت..

الكهوف: كفن من حجر

وأمسنا الجميل.. مثل حجر سقط من حجر ولن يعود.. بصوت
متحشرج همست: المرأة الأولى..

ظلمة الكهف تذكرني بظلمة أخرى
الظلمة بظلمة أخرى..

من يعيدني إلى ذلك الصباح.. إلى الاغاني القديمة التي اريد غناءها..
صامته بلسان الفنجان المعذب بالغموض.. رصاصة طائشة.. تتأملها..
وتمضي..

في عينيها أمنية أخرى تتمزق

كلما قلبتُ فنجاناً سكبني أرقاً جديداً

كهُفُ إلتصقت الأصوات على جدرانهِ ..

مِن الأصوات: صورٌ تنهضُ .. تستبق والظلال

هم يبحثون عن نقطة ضوءٍ تحرك كل ذلك ..

قال الخامس: أنها تنظر بين فخذي امرأة.. ما ألد ماتراه عيناها.. (آه..
إنزع القلب من الصدر وانسجه هنا..) يشير بسبّابته اليمنى .. ما بين فخذيّ
المرأة المرسومة على جدار الكهف .. يكمل الجملة .. (وليبتلعي الكهف)
الثالث: منذ أستلم السادس الاسم واختفى .. أجتاحه صمّت، حدّق
في إشارة الخامس: فخذيّ المرأة .. الرسم صار باباً في الجدار .. فُتِحَ له
بابٌ .. فهبت نحوه ذكرى طرية ..

كتفا بكتف بعيدا عن عيون من ماتوا .. كانا يعبران الجسر نحو شجراتٍ
وعشبٍ كثيف: يمكثان حتى ينكسر النهار .. يعودان وفي عينيّهما وثيقة
عهد.. ونصف حلم ينتظر تتمته .. وفي البيتين، كل سرير في بيت، ينتظران
الصباح. المؤدي للجسر: مثابة وشاهد عدل: حكاية عشق فلاح وزهرة ..
كل يوم حلقة لاهي من ذهبٍ ولا .. فضة، كل يوم حلقة لا تتدلى قرط ولا

ترسخ في الأصبع الوسطى كل يوم حلقة كل حلقة مرقاة.. من كم مرقاة سلم حكايتهما؟!.. أرادت وهو أراد: من كوخ القرى عشيما الذهبي ومن العشب سريرهما، يحرسهما الماعز الجبلى وصياح الديك وذلك الثغاء المعلن عن نهاية سعيدة..

الليل يجثو وجوارهما أناماً فصول الحكايات: فصلاً فصلاً..

فرضَ القدر فكرةً نسجت حكايةً أخرى.. صارت الزهرة مثل هذه المعلقة فخذوها على الحيطان.. وبينهما تأرجح كل هؤلاء.. كان يسمع صياحها والبكاء..

يرتعب وثمة يد تربت على كتفه وصوت: ذلك جهاد الزرايزر وستؤجر عليه بالجنة.. أبشر يا أخ هي الجنة تنادي ونحن نلبي.....

صرخت تستغيث.. ثم في يأس صاحت: أريد الإستحمام.. قليلاً من الماء.. ماء ماء.. وتفتت صوتها.. خرج من كان معها قائلاً: لم تحتمل.. انها طير في الجنة الآن.. ارتجف.. من كان فلاحاً.. تلفت ولا يدري ماذا يريد!! ماذا سيفعل!!.. تساءل: هل ماتت..؟ أو ميء الآخر برأسه مرتين للأسفل..

اختض.. تسارع نبضه.. تخشب ريقه.. وهو ينطق: اسمحوا... بأخذها إلى الجسر..

صوت من ربت على كتفه: لماذا الجسر وماذا ستفعل هناك؟

- سمعتها تريد الإستحمام.. وأنا سأرميها في النهر.. وبذلك نتخلص من الجثة ونحقق أمنيتهما الأخيرة.

- لك ذلك.. أدخل.. لفها وخذها. قال الآخر وهو يهم بالمغادرة..

وأنت إلى.. هذه الحجرة واختر ما تشتهي من زراير..

- مخاطبا من كان معها.

.....

.....

حملها ووضعها على الجسر اسند رأسها على السياج الحديدي..
وراح ينسل شعرها بأصابعه.. ويمسح عن وجهها الدمع والدم النازف من
أنفها وفمها.. دون النظر إلى المتسائل بين فخذيه.. أراد الكلام فتعطل
اللسان.. شهيق / زفير.. ملتبسان في إحتباسهما

في لحظة رعب.. أراد الخلاص من كل هذا مثل الذي يرمي الغطاء
عنه حين يفيق من كابوس.. توسط الجسر وحملها أسندها للسياج ثم..
للنهر.. وهرب وتحت قدميه يمتد الجسر ويمتد.. وعلى مشبك سياجه
يتكأ الغرقى يشربون.. ويضحكون طوال اليوم.. والعشب منزعج من
رائحة أظلاف الغرباء.. فصلت الحكاية من الأرواح التي تسكنها وتدفت
رغم انبثاق الضياء ظلمة لا يحتاجها الجسر.. استحى النهر فتوارى الثرى..
والجسر يغسل أنفاسه بغدٍ مبتعد..

يُدْ هزت كتفه وصوت الأول: بماذا تفكر..؟

- لم أفكر.. أجب الثالث وقد شحب لونه.

- مريض؟

- لا..

- كنت تفكر.. جميل، بينما من لديه عقل يفكر قال ذلك مخاطباً
الجميع..

- ربما هو يحاول أن يفك طلسم الحيطان. قال الثاني
- هل تحاول عذراً له.... تساءل الأول.

الصمت يمتص الوجوه.. ينسج أسطورةً أخرى..:
ولّد يحمل اسماً..

عاش.. باسم آخر

ويعيش باسم لا يشبهه..

ها هو يغادر.. جاهلاً الأسماء كلها.

.....

.....

مختبئة في إحدى الزوايا بين أجساد نساء بثياب ممزقة شبه عاريات
تملاً وجوههن الكدمات وعلى سيقانهن فقد الدم حيويته.. ارتجفت
لصوت الباب بيدها كملت فمها واختبئ تحت غشاوة الدمع.. بصرها.

بين ذهول النساء تتهاوى الاحتمالات.. قد يكون كابوس يراود إحداهن
بعد عشاء دسم.. ربما هي هلوسة إحداهن من تأثير عقار ما.. لعله ترهيب
أم قاسية لطفلتها كي لا تتعد عن باب الدار.. أو ربما ستضحك إحداهن
حين تفتح عينها وتنهض لإعداد الريوك لأسرتها وهي تهمس: لا حقيقة
لكل هذا..

أصابع عصبية التهمت زند المختبئة وسحبتهما وصوت يقهقه: أخلقت

بلا عظام.. أي ترف مثير لحملك. سحبها وهي تنزف النداءات.. عيون النسوة تنظر المشهد باضطراب.. إنها اصغرن سنًا، من حين لآخر تتبول خوفها.. حاولت روحها أكثر من مرة مغادرة الجسد وقوة ما تعيدها لتؤدي دورها في هذه الفوضى العارمة..

خطأ ما يحدث في إدارة الكون: بالكاد خرج صوت إحداهن ولا تكاد كل النساء سماعه.. وأردفت: تبرأت من الأجساد أرواحنا فمن يسمح لها بالمغادرة؟ اتكأت على الجدار نهضت متحدية ضعف جسدها وقفت وسط الحجرة دارت حولها حائرة.. تكرر: خطأ ما يحدث في إدارة الكون.. انقطع صوت النداءات.. يتدفق.. يجيء الصمت نحوها.. يلف قلبها.. تسقط في ظلمة باردة.. وكما هي باردة ظلت نظرات النساء..

فكرة ملغزة، أعود وأفكر ثانية

لا قدرة لي على النهوض.. تخذلني حنجرتي في العويل.. أنا
المفجوعة: 1700 شذرة قفزن من محابس الخائبات.. بُدْرَنَ بأرضٍ
خُصبت بأعيننا..

لم أعد قادرة على النهوض.. والسماء بكل ما فيها بعيدة جداً.. إلا..
من هذا الليل المترهل الجاثم مثل الخيبة على الأمل.. إلهي.. أضرت كل
الوالدات بأولادهن ولا شيء.. لا شيء سوى حناجر معطوبة الاوتار..
لم أعد قادرة...

وهي جالسة.. ضربت بكفيها الأرض ولطمت وجهها وانتحبت..
انحنى يهدأها زوجها: احمدي الله.. انه حي.. احمدي الله واهدئي..
انت تعرفينه اذا سمعك سترك المستشفى.. تعرفين جنونه.. اهدئي وادعي
له بالشفاء..

- كيف أهدأ.. ألم تسمع صديقه.. هل ستركونه بسلام..ها؟ اجبني
هل ستركونه بسلام لقد أرادوا قتله.. أرسلوا من يقتله... أين نحن.. عقلي
لا يستطيع استيعاب ما سمعت.. يا إلهي.. هو يقاتل معهم يدافع عن هذا
الوطن.. يقاتل ويريدون قتله!!

(صايره؟ دايره؟)..

- أصمتي أرجوك.. نتحدث فيما بعد.. حاولي أن تتماسك.. وكل شيء سيكون على مايرام.

- على مايرام! أحالم انت..؟ أي ما يرام هذا الذي نتحدث عنه؟ ابنا تعرض لمحاولة اغتيال وما تزال المحاولة قائمة.. من أين يأتي المايرام؟

- اذهبي للبيت ارتاحي.. أنا هنا معه.. لا أستطيع تركه وحده كما لا يمكن لك ان تكوني هنا.. قد يتصل ابنا الآخر..

- اتصل به..الآن.. أخبره بما جرى الآن، نحتاجه وضروري جداً حضوره. وهي تخرج من جيب ثوبها الموبايل..

- ليس الآن.. دعينا نفكر مليا ونطمئن على سلامة.. وسأتصل به أعدك.
وفي هذه الأثناء رن الهاتف....

- ها هو.. إنه ابني قلبه معي.. عرف بحاجتي إليه.. قالت ذلك باكية.

أخذ من يدها الهاتف..: ألو.. اشلونك بابا.. زين؟!

- أنا بخير.. توا استيقظت من رؤيا مزعجة.. هل أنتم بخير؟

- نعم نحن بخير والحمد لله. طمني عليك كيف حالك أنت..؟!
أخبارك؟

- أنا حصلت على الإقامة هنا وكما سبق وأخبرتك الحياة هنا أفضل وفرص العمل كثيرة وأرجو أن تقنع أمني بأن تأتوا للعيش معي.. أرجوك أبي.

- ماذا يقول أخبرني .. لماذا أنت صامت؟ ما به أبنّي؟ لماذا لم تخبره
بما جرى لأخيه

أعطني الهاتف .. أريد أكله ..

- لحظة .. أنا استمع له ..

- ماذا .. أبي هل تكلمني ..؟

- نعم يا بني .. أنا معك .. والدتك تسلم عليك ..

- أبي كيف حال أخي ..؟ سمعت أخباراً سيئةً عن المكان الذي هو فيه .

- بخير ... أخوك بخير

- لا .. صوتك لا يقول ذلك .. ما به أخي .. أبي أرجوك طمني ما به ...؟ ..

أعطني أمي اكلها ..

- إسمع إبني .. أخوك في المستشفى .. تعرض لحادث وهو جريح

الآن .

- حادث .. هل تقصد أنه مع ...؟!

- لا .. حادث آخر .. والحمد لله هو الآن بخير .. ولكن الأمر فيه شيء

من الخطر .. الموضوع كبير وكبير جداً وأنا في حيرة لا أعرف ماذا أفعل ..

أتصدّق أنني عاجز عن اتخاذ أي قرار الآن .. لم أهزم في الجبهات كلها

ولكن الآن أشعر إبني مهزوم .. أخوك من المغدورين . كما أخبرنا صديقه ..

اكتشف خيانة بعض الضباط والمؤامرة الكبيرة ... ضحيتها 1700 شاب ..

فدبروا له .. وحاولوا اغتياله .. ولكن الله لطف به وبنا .. ولا أخفي

عليك هم لن يتركوه بسلام ربما يحاولون مرة أخرى ..

- هذا كلام خطير وخطير جداً.. أكيد لن يتركوه.. ماذا عرف وكيف..
فعل ذلك..؟! ماذا يعتقد.. هذه دول كبرى ومؤامرة أكبر.. سيسحقونه
دون أن يشعروا.. أبي إذن عليك أنت وأمي ان توافقوني.. تأتوا إلى هنا مع
أخي دعوه يستقيل ويأتي.. معنا. البلد الآن ليس بلدنا.. الوطن يعني ان
تعيش بأمان وسلام واحترام.. أرجوك أبي انا سأحضر الأوراق الضرورية
لحضوركم والأسبوع القادم سأجيء..

عليكم ان ترتبوا كل شي لا داع للتأخير..

الأخ الذي هناك يريد إنقاذ أخيه من هنا، لكن الذي هنا رفض
الاستقالتين من الوظيفة ومن الوطن، يغادر للعلاج، ليعود قويا للوطن..
لن يترك الدار للأشباح

.....

تهدت وهي تتأمل أمها بعينين سقيمتين هامسة: كنت تحلمين
بتزويجي لابنهم الضابط.. لماذا لم تخبريها بهجرة حلمك وحقيقة
الأشباح؟.

- الأشباح.. سكنت كل شيء.. ولم ينتهي الحلم بعد..

علينا أن ننتظر يقظتك أنت، قالت ذلك لأبنتها وهي تضع حجراً تحت
رأسها. همست امرأة ثالثة: اص.. همسكن والمطر يشمت إصغاًونا.

- أعراني بالأحلام.. حين غفوت أفرعني..

- عرض مسرحي هزلي: وطني

تيس ريقها: تكسر زجاج الروح في عينيها

لم تكن قادرة على عدم النظر إليه. كان فذاً ومتأهباً جداً أمام الموت..
للحظة أخذتها منها.. مسكت بيدها صورة رجل يشبهه يحمل صورة
رجل.. يحمل صورة رجل.. يحمل صورة رجل يشبهه أيضاً..

وضعت الصورة بين يديه ابتعدت قليلاً: أنظر إليّ سألتقط لك.. مثلها.
داخل كل الصور: اسم واحد وتاريخ مختلف وأمكنة مختلفة:

حرب الشمال...

حرب إيران ..

حرب الخليج...

حرب الشوارع

في.....

مسكت قلماً وتناولت الصورة الفوتوغراف وكتبت نفس الاسم..
وتأريخ.. و..

إبتسم: أكملني..

تيس ريقها، تكسر زجاج الروح في عينيها، همست بما تبقى من
صوتها أين؟

أخذ الصورة وكتب: ذات الربيعين .

.....
.....
طفحت وتطفح الأرض بأقدام خاوية العقول تتقدم بدرجة 77
حقدا والظلام يزداد سمته بوجوه كائنات شعثناء اللحي، وعيون فارغة..
أحدهما تمتد.. وتمتد.. وترتد حسيرة.. وأخرى ثابتة على سرب زراير..
إرتعاشات عارمة في كل الأرجاء: هي كل ماتسعون إليه، لا عاطفة، لا
ذاكرة، لا فكر أو تفكر.. تقدموا هدفكم النكح والذبح.. ومن يراوده شيء
واجبنا.. نحميه من نفسه فنعجل بشحنه إلى جنان الخلد حيث السبعون
تلي السبعين من زراير الحور.. قال ذلك صوت عبر الهاتف.. كما لو
أنه لم يعر اهتماما لصوت أو لأي شيء قال الأول: لا بد من فك أزرار هذا
الطريق...

أختفى الكهف ورقم ثلاثة.

.....
.....
ساروا مخلفين دخان أفكار ضلالية.. وثمة غواش على زجاج
عيونهن.. صاحت أحدهن: أمسحن بالبشرى عيونكن إننا نتغلب عليهم..

إنهم

يتساقطون

واحدا

تلو

الآخر.. أرفعي صوت المذيع.. ثمة حفيف للنخيل يرتفع وصوت
الحناء.. تشكلا على هيئة حلم. بل يقظة. اضافت الثانية. كأنهما قصة

خيالية. صاحت الثالثة. حين يفتقر الوطن لذاته يقطع النخيل الملح عن جذوره.. وعلى الوجوه يوزع ذهب الرطب.. هلل بذلك صوت امرأة جاء من بعيد ليس بعيد. لم يتوقف مد حفيف النخيل رغم برودة مايحيط به والضباب، صقيع يتلحف النخيل ولا دمعتين حارتيْن على ورد الربيعين.. أردف صوت المرأة الذي جاء من بعيد.. بكت النسوة لسماعه.. تدفق حفيف النخيل.. تدفق النزف.. كما لو أن كل الدماء التي ابتلعتها الأرض على مر العصور نهضت وتجددت.. كتب في رحم الأرض: مملكة كاملة من العظام.. النساء ينظرن.. ويبتهلن.. لتتحول الأرقام ثانية إلى الأسماء.. والكلمة تتحول ثانية صوت كما كان كل شيء في البداية.. آه، كم هو ثقيل الصمت.. قالت أحدهن... أعود نتنفس من الأرض..؟ هل سيعود إلى الوجوه ماءها..؟ صوت ابتهالاتهن يعلو..

المد يعلو بغضب.. أخرج كل الألوان من قلب الأرض.. ومالت السماء إلى الرمادي.. ولا شيء يتلاشى في النسيان.. حلقت فوق الرؤوس الصور والأسماء وانهالت على الأرض مثل المطر.. والطائر يصيح اسقوني.. اسقوني.. ما يزال.

انتشرت على طول السهوب الرقاب على شكل أمواج من دم.. وربما من نار، تعبر حدود الخيال.. الشهود يقولون: ضفرت الارواح بالضوء.. والطيور مترعة كؤوسها.. تودع ظمأ قديم ومع انتشار الاسماء والصور في كل مكان.. يتجدد..تجدد ظمأ الطيور.

.....

غسلت بيدها الجروح عن وجه الصورة وعلقتها على الجدار..

بجفنيها ازاحت قطرات الدمع المنهال من عينيها.. وابتسمت لطفل يحبو
تجاه الصورة.. المرأة صاحبة الصوت الذي جاء من البعيد ليس ببعيد..
وصوت الناعية:

على اسم أبيه.. لاتسميه..

لهذا الوليد

عمر مختلف

امرأة مختلفة

وطن مختلف

وقاتل مختلف

الأسماء لاتعيد..

الموتى

تغوص في الأعماق.. مضطربة تواجه اعترافها..

لا تكتشف الأشياء: بعينيك

ما تقوله عينك يقلقني.. تكلمي ماذا ترين..؟.

.....

للعين: خطاباتها: لامعة في الفرح.. متقدة جمرا في العزيمة، ذابلة وخفيضة في الإنكسار.. وبندولية الحركة حين أقرض بأسناني أظافري.. وأقف على رؤوس أصابع أقدامي..

صارت العينان مفقوئتين: حين غابوا.. في الأقصي.. لا جدوى من تشغيل الكلام: فالعين عاطلة عن الأحبة..

العمى هو الغياب عن قسيمنا في ما نريد ونكره..

ما أوسعك يا عين..!!، بك نرى الدنيا، ونرى ما لا يرانا.. العين شبكة تصطاد نبوءات الرؤيا والحلم، في عين المقتول نرى القاتل، لا بصمة تتوأم مع... ولا عين تتوأم مع عين.. في الحرب.. عيونهم ثابتة على الصور الأخيرة من المعركة

العين: كتاب الميت؟ إذن علينا غلقها..؟، ماذا عن الرؤوس التي اظلت أجسادها وعيونها شاخصة..؟ هل من قارئ..؟ ما الذي تنظر إليه عيون غادرتها الروح؟ ظلت مفتوحة الدمع تتأمل يتيماً.. يبيع العلكة وأرملة تستجدي يوماً آخراً للحياة بائسة.

.....

.....

يا أرضي انظري لي.. لماذا مغلقة بوجهي عينيك..؟ ترابك يخبرني
أني مربوط للكتابة في الحجر..حجر فوق حجر..يعلو البناء:جنة كاملة..
مغلقة بوجهي أبوابها. أرضي انظريني ولا تنسين حين ترتفع المباني
في المدينة.. زوجتي تحلم لا أنا.. أرضي انظري.. ها أنا اودعتك أُمي
وزوجتي والاولاد.. وجئتك مثل دلو احمّل دماً ساخناً..

يد..تهز كتفه..وصوت رجل: ما بك ابتسم تحرك الرتل.. ابتسم
واصدح.. جئناك بكل الفصول نغسل بالدماء الطريق إليك يا غافية على
زند الربيع.. جئنا.. جئنا نحن المعمدين بملح وتراب.. نمد اليك صباحاً
بضوء الإرادة.. جئنا ويركض فينا هطول الدماء.. جئنا محملين برسائل
النخيل والسنبال.. يتأجج الجمر في داخلنا.. الارض اتسخت نريد لها
حماما ساخناً..

ذات الجرغد المعفر خاطبت تراب خاطاهم بالماء.. كما لو أنها توهم
الارض بالرضا. ذات الجرغد هل نسيت أو تناست ان الماء لا طعم له..
والأرض تريد ما اودعت في دمنا من ملح.. ذات الجرغد.. كما لو أنها
وقفت وحولها ألف وسبعمئة مرآة.. جمعن كل ملح دماؤهن ومزجنه
بالدمع وسقين.. والأرض ماضيت.. هرعن.. ووضعن التراب على
رؤوسهن.. والأرض لم ترض.. ابتهلن واقترحن المناصفة ولم ترض..
ارتجت المواعد وأخذت الارض حمامها.. ولم ترض..علقن على
الجدران صورنا، ورحنَ يغسلن بالملح أبناءنا.. ولعلها ترضا..ولن..

.....

النجمة التي على كتفه في الصورة: تنز من ذلك القاني، لا لم تنز..
النجمة قفل بين يديه والثياب بلون التراب صارت تضيق والتصقت
بجسده كطابع البريد، كملابس الغواصين.. هاهو يأتمر فيطيع.. يغطس في
زرقة متماوجة داكنة يرى في العمق كائنات سود مقبوحة، لا أوكسجين له
سوى الصبر وقوة الإحتمال

- إلى كم ..؟ من أين ..؟ كيف ..؟ هذه سؤالات على الأرض لم تغطس
معه في هذا الفضاء الداكن المتماوج الأعزل ...

امرأة تنفض الفنجان كما تنفض حقيبة بحثا عما تريد إيجاداه ..

يتخثر البن في الفنجان يتخلص من دكنة لونه، يتساقط فتيت بني في
القعر الداكن

عين واسعة في قعر الفنجان، سمكة وسط العين.. تابوت منتصب
كالراية يكاد ينوش حافة الفنجان.. بوق فوق التابوت الواقف عموديا..
تختلط الرؤيا تقفز سمكة من العين وتبتلع البوق

ينفطر الفنجان

شرخ في جدار الكهف

شرخ في الصوت وفي العين وفي الأذنين

امرأة المخاض

امرأة الفنجان

.....

عصا تتهجي ما تراه هي على جدار الكهف، أين العمى..؟ في عيون
الرجال؟ في آذانهم؟.. في قلب مَنْ يتسيد العمى ..

رهينة فنجان: هكذا أتذكرني..

- 1 -

طاولة سطحها من الفورمايكا المكبوس، مثلث أبيض وآخر بلون الظل يتجاور المثلثان بضلع الوتر بينهما برزخ تتدفق فيه زهرات صفصاف، كأنها تطفو على ماءٍ لا يراه سوى عينٍ ترى ما لا يرى.. الفورمايكا بلون قهوة خفيفة.. كأن صاحبها استلم إشاراتٍ من الكولوسترول.. فاحتال على القهوة أو احتالت عليه بنسبة معينة من المتغيرات، فنجان ملآن قهوة ويدٌ تهتم بحمله، فنجانٌ آخر مقلوب قبالة امرأة.. تئن.. تهز رأسها مثل مَنْ يقلّب ذبيحةً على جمر.. قالت: كلهن حسدنها أصيبت بالحمى وتفاقت حالتها.. على مشارف الإحتضار.. كلهن تمنين لو كن مكانها..

- يا لها من أمنية مريضة؟! صوت يسخر ويرتشف قهوته

- تمنين الموت.. كن يحسدنها لأن الموت اختارها دونهن.. كن يتوسلن.. ولم يكثرث لهن: الموت .

- يتمنين؟!.. ويهربن من الموت؟!!

.....

- ما كان هرباً ... الموت أمنيّةً.. نتوسله أفعى.. عقرباً.. رصاصاتٍ
طائشةً أو متزنةً.. لحظتئذ الموت رحمة حرمانها منها.. الموت سترًا للناصع
.. فينا ..

لم يقل لها :غريب كلامك ..

لم يقل لها لا يوجد من يشتهي الموت

لم... يقل: كيف كنتن تهربين إلى الموت !..

قلبت فنجانها وحدقتُ... ومكثت في صمتها..

نظر اليها مبتسماً...: ماذا ترين في الفنجان يا.... عمياء؟

رفعت وجهها تجاه صوته، كأنها تحدفني: قال لنفسه.. وكأنها سمعته:

فقال بصوت يتقطر قطرةً قطرةً

أملك

سرد

العمى

والبصيرة

.. نملك

أكثر من عيين

في

زحام

الحياة

نكتفي بأثنتين ..

هذا الفنجان: عينٌ.. هو يرى ما لا تراه عيني.. في إغماضة العينين..

تأخذنا عينٌ إلى مايسر الناظر.. ثمة عين مسبار ترى ما يضمره الآخر
وعين تفقأ عين الكايد والحاسد.. وعين الباب والخضرمة عين ضد العين
الحمراء..

هاتان العينان نوهمها وتوهمنا لذلك حين نواجهها بالحقائق تشيح
بنورها عنا.. اتدري لماذا نلبس السواد حين الحزن.. لنوهمها بالعمى..
ذلك لاننا اوهمنا بان الحزن الشديد يجب أن يعمي العين.. ما تفعله عيني
الآن هو انها تذكرني بما افقدت.. وتحثني على البحث عن ما فقدت.. وها
أنا ابحث..

- الآن في عين الفنجان.. ماذا تبحثين؟

- لا أدري. رأيتها ترفع يديها وتضربهما بالأرض.. إذن لحظة وداع
قد حانت حضنتها اردت حملها والركض بها خارج الكهف.. خذلتني
قواي.. وضعتُ نصف جسدها بحضني.. نظرتني.. تستنجد، لطمتُ
وجهي.. ضربتُ رأسي بالجدار.. وصرت كلما رفع الشهيق رقبتها
ونظرتني ضربت رأسي بالجدار.. حاولن امساكي صرخت بهن: عليكن
ان تختارن بين العويل وضرب رأسي.. لا احتمل الصمت علي ان اخرج
صوتي من حنجرتي أو من شرياني.. كما لا ادري ايهما وضع غشاوة على
عيني.. دمعي؟ دمي؟ هدأت بأحضانني ابنتي وتوقفت عن النظر الي كما
توقفت عن كل حركة وقد ازداد اصطدام رأسي بالجدار لم أكن أدري إن
كنت أنا من يضربه أم هناك من يضربه بالجدار.. حتى غبت عن الوعي/
غاب الوعي مني.. وحين استيقظت لم أر شيئاً.. همست لم اسمع لهن
صوت.. وجدتني ممددة على الارض والدم الصق شعري ووجهي
بالارض.. زحفت وتلمست المكان

- لا أحد سواي ..

- أين الكهف.. هل تتذكرين مكانه.. فأنا بحثت في كل الأرجاء القريبة
لم أجد كهفاً..

- كان الوقت ليلاً.. وكان فتيت الصخور يملأ الطرقات.. كنا نبحث
عن أي مخبأ.. متلمسات طريقنا حتى وصلنا إلى شيء يشبه الكهف ربما
كهف وربما بقايا بيت.. ربما حطام دبابة أو ربما جثة انسان متحجرة.. اي
شيء يضمننا وان كان فنجان قهوة مقلوب..

- حين استيقظتِ هل جثة ابنتك؟

- لا...

- أين ذهبت؟

- يقال.. حين امسكوهن... انتزعوها من احضاني (صمت) تحدث
نفسها هامسة صغيرة وترفة..... ورموا جثتها بعيداً..

وهناك من يقول انها استفاقت وذهبت مع النساء.. لحظتها أنا من
الميتات..

وقالوا خطفتهن الاشباح التي تسكن ذلك الكهف.. يقولون ان الاشباح
تسكن البراري والكهوف والجثث والقبور والخرائب ونحن تجاسرنا
على ممالكهم.. وآخرين أشاعوا: انفتح باب في الارض وابتلعهن. وهناك
من يقول أن ابنتي هربت مع عشيقها الشاعر.. والنساء استطعن الهرب
والاستقرار في مكان بعيد وامن

- وأنتِ...؟

- عيناى تقولان...

- تقولان..؟

- حلمت بزفافها الأبيض.. حلمت بإستقامة عريسها بذريتهما..ومعى
حلمت ماكنتي بشباب لأحفادي.. حلمت أكتافي بطراوة أحفادي..

.....

.....

- 2 -

أمي أمي..

- حبيبي استيقظي

- أمي.. حلمت انها عمياء..

- حبيبي اطمأني أمك بخير وهذا مجرد حلم.. أو ماذا يسمونه..
أضغاث احلام.. نعم. يلا تعال نتناول الريوك معاً..

- حسناً..

نهضت وهي تتمتم بكلمات غير واضحة.. ربما تبسمل.. أو تتمنى..
اتجهت إلى المرأة.. سرحت شعرها.. في المرأة انعكاس صورة
معلقة على الجدار.. صورتها وهي بثوب الزفاف تقف منسدلة الأجنان
يضمها ذراع زوجها.. وصورة آخر لاحت في المرأة لزوجها وهو بملابسه
العسكرية يقدم للكاميرا كتفه الأيسر.. وعلى الكتف نجمة لامعة.
التفتت.. بطنها مرتفعة كربوة اقترب منها زوجها قبلها وهو يضع يده على
ربوتها هامساً في اذنها كم اشتاق لرؤية ابنا.. ابتسمت وهي ترفع ثلاث
أصابع: كل أصبع أسبوع.. صوت امرأة من خارج الغرفة تنادي: الريوك..
خرجا من الغرفة وألقى التحية على أبوي الضابط.. جالسين خلف طاولة
صفت عليها الأطباق والأكواب... أخبرهما ابنهما: بمنام زوجته وقلتها
على أمها.. ابتسم الأب: أمك ستعمى من ملاحظتها لقارئات الفنجان..

ضحكوا والأم اسكتتهم: لا تقل ذلك عن صديقتي.. بحياتها ما فتحت
الفنجان لها أو لابتها.. دائما تحاول إسعاد الآخرين من خلال نقل خبر
جميل..

حين ننتهي.. سنذهب إلى زيارتها نطمئن عليها..

.....

.....

- ما بك.. صمت فجأة.. هل يؤلمك شيء هل.. متعبة؟

- كنت أحلم أن أزوجه لابن جارتنا الضابط.. لكنهم هاجروا.. الآن
سمعت: عادوا وسكنوا في مدينة أخرى..

طرقت الباب فتاة ودخلت دون أن تنتظر.. ترددت حين رأيت الشخص
يجلس قبالة المائدة ويشرب القهوة مع المرأة.. فبادرها قائلاً: تفضلي هي
تنتظرك..

اقتربت وجلست معهما: كيف حالك اليوم..؟

- لم ترد التحية.. مدت يدها بالفنجان قائلة: خذي الفنجان... ما ترين
فيه؟

أخذت الفنجان وهي تبسم وعلى حياء من الشخص الغريب.. قالت:
أرى كل شيء بخير..

هزت رأسها غير راضية.. احكي لا تخفي شيئاً عني..؟

ابتسمت قائلة: حسنا سأكمل.. لكن ليس الان.. فأنت لديك ضيف.

هزت رأسها قائلة: لا ضيوف لدي.. لا أعرف غيرك.. ومنذ البارحة
انتظرك.. يلا اقرأيه..

نظرت الفتاة إلى الشخص: من أنت وماذا تريد منها؟

- أنا صحفي سمعت بحكايتها وجئت أكتبها مقالة

- أي حكاية..؟

- النسوة والكهف وابتتها ..

ضحكت.. اسمع انها حكاية كاذبة أنا اقصها عليها فصدقها حتى انها صارت تبكي وتبحث في الشوارع عن ابتتها.. كما ليس هنا أي كهوف..

- ولكن الكل يتحدث عن قصة النساء والكهف ومن يطاردهن.. قال ذلك وهو مستغرب حديثها.

- صدقني كله كذب.. كل تلك القصة من نسج الفنجان.

والتفتت إلى المرأة وهي تهتم بالنهوض قائلة: انتظري لحظة..

أراد الشخص ان يقول شيئاً.. فتح فمه.. تردد أبتلع ريقه.. وعلامات الاستغراب تسطع من ملامح وجهه.. نهض مستأذناً شكرها وغادر.. بينما هي همت بغسل الفنجان.

أكتبكِ.. لأعيد زهوهُ وجهي

قبل سفري للعاصمة، اتصلتُ.. جئتني متلهفة: فعرفت منها أنها أخذت أجازة من عملها ولم تخبر أمها، لا عن الإجازة ولا عن لقائنا.. (أمي مصرّة على عدم زواجنا.. وقارئة الفنجان تزيدها إصرارا كل يوم تقول لها.. لن تتزوج ابنتك من الشاعر ولن تتزوج من الضابط بل سيتنافس عليها غرباء و... وتصمت، تلح أمي: من هم؟ متى..؟! هل سأعيش.. سعيدة؟.. تعود أمي غاضبة لاعةنة الفنجان وقارئته.. بقيت أسئلة أمي ملتعبة ولا ماءً جواب سكبته القارئة).. ضحكْتُ وبراحتني أطبقتُ على كفيها هامساً: أقاتل كل من ينافسني عليك، انت لي وحدي.. أمك سترضى.

عبرنا الجسر.. نحو مظلتنا الخضراء الوارفة المطرزة بالزقزقة.. سهوب خضر فيها المهجور وفيها المضاء ببساتين المشمش والحمضيات.. قبل الوصول لشجرتنا غمرنا شميم عشق: عاشقان لا يريان سوى همسهما سرعان ما لذنا وراء الشجيرات متقوسين.. حتى وصولنا لشجرتنا، توسلتها: لنحاكيهما.. ابتسمت: هما من طيبة هذه الخصوبة الفلاحية. عشقهما مثل النوم مثل المطر مثل العطش. لاعلامات فارقة.. العشق: هبوب يداعب شهقات كل.. الارواح.. أجبتها. بحنو، نظرتني هامسة: ستري بنات العاصمة.. وتنساني.. كنتُ بتوق لشم شعرها.. أخذتُ

خصلةً.. لثمتها شممتها.. رثتي طالبت بالمزيد.. دنوتُ من رقبتهَا، نفرت
قائلة: هل ستأخر في العاصمة؟.. لا.. سأُتصل كل لحظة.. وانا امسك
بيدها كانت قلقة وكلما دنوتُ ابتعدتُ.. تضايقتُ: ما بك؟!.. أشعرنِي
خائفةً.. اجابت:

- مني..؟ سألها...

- منذ أيام اشعر بالخوف، ممن / لماذا؟ لا أعرف!!.. كل لحظة اتلفت
حولي وكأن شيئاً ما يرعيني.. لم أبح لأمي.. حتى لا تستعين بقارئة
الفنجان.. ضحك قائلاً: وهل تحتاج أمك عذرا للذهاب لها.. اصبح
الفنجان طقساً مقدساً عندها. لا تقل ذلك، أُمي طيبة.. تذهب كي تلتقي
بالنسوة تسمع مكابدهن ألفت وجود النساء في حياتها بتوقيت ماكينه
الخياطة ولكن حين عملت أنا ومنعتها من العمل، صارت تشعر بالفراغ
والوحدة.. أحيانا امنعها من الفنجان.. ثم ألومني حين أراها منكسرةً.. هل
التقينا لتتحدث عن امك والفنجان؟ انا مشتاقك لتتحدث عنا عن عشقنا..
قال واطاف: هل لي

..... نظرتُه مبتسمة وقبل ان تقول شيئاً قال: افتحي
أزرار المعطف.. بنظرة المستغرب قالت: جننت!! ودفعته عنها.. عاد
ومسك يدها: لماذا الاستغراب؟.. وما العشق الا للمجانين.. افتحي..
أريد رؤية تقاطيع خصرك لن ألمسه بغير عيني.. ابتسمت وهي تفك أزرار
المعطف وتبعده عن صدرها: تنورة بنية اللون، بلوزة امتزج البن والحليب
في صوفها الناعم الذي جسّد حمامتها وتحتها، خاتم بصيغة خصر،
مركوز على آيتين من رخام الإله.. تأمل تقاطيع الجسد.. مال برأسه
نحوها هامساً: أريد وضع يدي على خصرك.. بغنج مهموس لم نتفق على

ذلك.. أجبها لتتفق الآن.. ها أنا أكرر طلبي ممكن..؟ ذلك طمع.. أبعده عيناك عن.. وهي تلف عليها معطفها.. مثل طفل صاح: لا.. لا.. افتحي المعطف لن أفعل شيئاً. ابتسمت وابتعدت عن تقاطيع جسدها المعطف.. وهي تقول: ما هي الوظيفة التي حصلت عليها في العاصمة؟ لم أعرف التفاصيل بعد.. سأذهب وأرى.. لو تأتين معي. تنهدت وهي تنهض قائلة: لنغادر.. تأخرنا.. لا أريد التعرض لاستجوابات أمي.. نهض قائلاً: هيا أوصلك ثم اذهب إلى الحلاق.. ضحكت بمكر: الحلاق تريد الترتيب والترتيب لمن..؟!، كان الأجدد بك أن تتزين للقائي.. ضحك وحاول أن يلفها بذراعه إلا أنها ابتعدت.. قال: لك وحدك يزينني العشق.. بعد يوم في العاصمة عملت في كلية الآداب.. اتصلت لأرى فرحتي بصوتها.. هللت وباركت وازدادت لهفتي لها، لم يعني لي العمل شيئاً بل مرضاة لأمها.. عشت يومي وليليتي في حلم جميل.. ولأنها لا تسمح لي بالاتصال بها في أي وقت.. تجنبنا للمشاكل مع والدتها كنت انتظر الليل بفارغ الصبر لأتصل واسمع صوتها.. وفي الليلة الثانية اتصلت ولم ترد ومن ثم اتصلت كان الجهاز مغلقاً احترت حاولت الاتصال طول الليل.. الجهاز مغلق.. لم أنم ولم تتوقف محاولات الاتصال.. والجهاز مغلق.

القلق سينارست ماهر ويستعين بموسيقى تصويرية كبرى، ولقطات غزيرة مع اختلاف المنظور، القلق قلبي وجها / وقفاً، على نار مستعرة.. وضع أمام عيني كل أفلام الرعب إلا فلما واحداً لم يخطر ببال القلق، فلم ينبهني له كما لم اتوقعه حتى في المستحيلات.. حين جاء الصباح محملاً بكابوس الأخبار بأن مدينتي قد سقطت هذا الفعل سقط علي صاعقة محرقة.

.. أين سقطت مدينتي

كيف؟

متى سقطت؟

من أسقطها؟

ماذا حصل لأهل المدينة!؟

الأسئلة تتكاثر كالخلايا السرطانية.. كل الأجوبة عاطلة .

أخذت حقيتي وقصدتُ الكراج.. كلهم يرفضون.. ولا أسمع من سائقي السيارات سوى هل أنت صاحي..؟ المدينة الآن تحت سيطرة.... لم اقتنع بكلامهم أغريتُ أحدهم بمبلغ كبير طلبتُ منه أن يوصلني لأقرب نقطة وافق وانطلقنا وفي أقرب نقطة لم يسمح لنا الجيش حفاظاً على سلامتنا.. وطلبوا منا العودة إلى العاصمة حتى يهدأ الوضع.. عاد السائق بسيارته وبقيت أنا اتوسل الجيش بأن يسمح لي بالذهاب إلى مدينتي والاطمئنان على احبائي واهلي.. قالوا لي عليك أن تنتظر حتى يهدأ الوضع، العوائل بخير وأمان.. ومن تعرض للأذى هم فقط من كانوا في الأجهزة الأمنية. واعدوني بسيارة عسكرية إلى العاصمة.. وصرت أتصل بكل ارقام الهواتف التي اعرفها ولم أحصل على رد، قالوا بان الخطوط مقطوعة.. وقالوا.. .. وصرت لا أفارق التلفاز وملاحقة الأخبار في الانترنت والفيس بوك.. وكل يوم اسمع واقرأ ما يزيد قلقي وخوفي على أهل مدينتي.. مضت الأيام وصارت الأيام أسابيع.. والأسابيع شهوراً وأنا أحاول الذهاب وكلما اقتربت.. يرجعني الجيش.. وبعد خمسين يوماً على الكارثة المخزية استطعتُ.. وصلتُ..، ذهبتُ إلى بيتها فوجدته مهجوراً..

منتهكاً مثل سائر البيوت ذهبت إلى بيت أهلي لم أجد سوى الخراب..
مدينة منتهكة تجوس فيها الأظلاف والوجوه المريبة... درت بين البيوت
باكياً نائحاً كطفل تائه.. اين أذهب اين أبحث.. قصدتُ الجسر.. عبرناه أنا
وهي في لقاءنا الأخير، صادفني أحد المزارعين ويبدو عليه التعب يتكئ
على عكاز حديدي، عرفت منه.. الناجون هاجروا باتجاه الشمال نصحني
بمغادرة المكان.. سألته ولماذا لم تهجر أنت قال: أنا كما ترى قد أصبت
وفقدت ساقِي.. ولم استطع السير مع أسرتي التي هاجرت هي الأخرى..
بقيت هنا عليل ذليل... ارتبت منه قلت له هل ستسلمني لهم.. ضحك
موجعاً وقال: أتدري انا كنت أراكما وأنتما تقصدان ظل الشجرة، كنت
أذكرك من خلالكما حين كان شبابي للعشق وعذاباته.. منتهداً اذهب
تجاه الشمال لعلك تجد حبيبتك.. دلني على طريق لا يصيبني به مكروه..
ذهبت ووصلتُ المخيمات وسألت لا جواب عن أهلي لا خبر عن حبيتي،
واصلت مسيري.. ووصلتُ مدينة أخرى آمنة وسألت ولا جواب يبشرني.
بحثتُ في كل المخيمات والمدن والجبال والكهوف..

ذات يوم جلست منهكاً في إحدى المقاهي وطلبت فنجان قهوة.. وانا
اتأمل الفنجان سمعت همساً لا مرئياً يقول لي ارتشف قهوتك واطرح
سؤالك على الفنجان.. ووجدتني بعد ارتشاف القهوة اقلب الفنجان
وانتظر لدقائق.. وارفعه وانظر لعلي اجد الجواب.. وازددت حيرة.. في
الفنجان ما يشبه غيمة محملة بالصواعق والنيران وطيور مذبوحه، ترفرف
بجناح واحد تصارع أحضارها.. ماذا يعني هذا وماذا يقول.. اينها ام
حبيتي اينها قارئة الفنجان؟ من يرشدني لفهم هذه الرموز.. أكيد الفنجان
الآن يقول لي شيئاً ربما هو الحقيقة وربما هو يقدم لي نصيحة ناديت

عامل المقهى وسألته اذا كان يعرف ان يفسر لي رمز الفنجان ضحك وقد ظنني معتوها.. ومضيت ابحت في الفنجان.. كهوف.. مدن.. مخيمات ال.. مضت شهور وشهور وبعد سنتين أو ربما أكثر أو اقل.. لم يكن يعني لي العد شيئاً. اعلنوا تحرير المدينة عدت إليها وقد سمعت البعض يتكلم عن نسوة وعن كهف وما يطاردهن.. وعن عجوز تبحت عن ابنتها هرعت إليها.. ووجدتها عمياء.. وحين اقتربت منها صاحت ضاعت حبيبتك.. ضاعت حبيبتك.. بكيت كيف رأيتني وهي عمياء..

.....

.....

لم يكمل قراءة الكتاب اغلقه مستغرباً.. كيف اذن قالت لي تلك الفتاة ان القصة من نسج الفنجان! هذا هو الشاعر حبيب ابنة المرأة العمياء.. انه يذكر في كتابه كل الأحداث.. قلب الكتاب تأمل ما كتب على قفا الغلاف..

- كما تفاجئنا الطبيعة بكوارثها من زلازل وفيضانات وأعاصير تهبط علينا الحروب دون سابق انذار.. الغفلة أحياناً تكون رحمة اذ ان العوائل النائمة يبقون على اسرتهم ملتحفين دافئين والذي كان بالأمس بيتاً أصبح قبراً لهم.. ومن يستيقظ فهو كما الذي تمر على مسامعه صيحات الصور الثلاث.. يقف مذهولاً، تترامى على قلبه حزمة من الأسئلة: ماذا يحدث، ماذا أفعل؟ أين أذهب؟ هل أغلق بابي..؟ هل أهرب..؟ هل أقاتل..؟ يتلفت حوله يتطلع في عيون أفراد أسرته.. تقتله الحيرة.. ذلك في الحروب.. ولكن ما حدث لمدينتي لم تكن حرباً.. بل قيل ان الأموات على مر العصور أولئك الذين جاءوا إلى احتلال البلاد وقتلوا ودفنوا هنا..

نفضوا عنهم تراب القبور.. خرجوا من تحت الأرض وصاروا يغتسلون
بدماء الرجال غسول الجنابة..

فتح الكتاب من جديد وعلى صفحة أخرى دون تسلسل أو تعين..

.....

حين عاد الناس إلى المدينة انتشرت بعض الحكايات.. والقصاص
وازدحم الناس على مركز الشرطة ومن ضمنهم أم حبيتي.. تبحث عن..
وذهبت أنا أرى ما توصلوا اليه.. قال ضابط الشرطة: أحدهم يقول انه
رآهن يركضن ويبكين ومن ثم تعثرن وأكمل مسيره هو ولا يعرف ماذا
حدث لهن..

ونشر الخبر في إحدى الصحف.. تحت عنوان الكهف يتلغ تسع نساء
وعاشرهن طفل. ويكمل نجت الحادية عشر بأعجوبة وهي مجهولة الهوية
ونحن نستنكر هذه جريمة بحق الانسانية.. ووعدت الصحيفة.. بنشر كل
ما هو جديد بخصوص هذا الخبر.

وروى أحد التجار ومما قاله بكثير من الحزن والأسى ما حدث لهؤلاء
النسوة يشغل القلب والبال.. فقد تعرضن لأبشع أنواع التعذيب وهن نساء
ترفات ولا بدّ انهن قد هلكن. بينما قال صاحبه لا بدّ من البحث عنهن
وتقصي الحقائق.. نحن حتى لا ندري ما عددهن وان كن تسعاً فذلك
يعني تسعة بيوت وتسعة أطفال وتسع أزواج.. وتسعة آباء وتسع أمهات
وتسعة إخوان وتسع أخوات.. وو

أحد الرعاة قال أن إحداهن ويقصد بنت المرأة العمياء، عاشقة وقد رآها
آخر مرة مع عشيقها هربت خارج المدينة وربما هما الآن في مدينة أخرى..

وبدوي قال: انه رآهن وهم يسحلونهن ويضحكون وقد اغتصبوهن حتى الموت.. ومن ثم حرقوا جثثهن.

امرأة فرت من قبضتهم ولكنها لم تكن معهن قالت: انها رأتهم وهم يبيعون النساء.. ويقايضونهن بالسلاح..

صاحب إحدى البيوت المتهدمة قال: انه شاهد بقايا جثثهن في بيته كما رأى رسومات على جدران بيته تؤكد ما تعرضن له.. وحين ذهبنا فوجئنا بان الرسومات انتشرت على كل جدران الخرائب.. ولا نعرف شيئاً عن تلك الرسومات والتي هي عبارة عن رموز وصور مبهمة.. هذا كل ما توصلنا له.. قال ضابط الشرطة وأضاف: لسن وحدهن من اختفين.. لدي الكثير من البلاغات عن نسوة اختفين..

وانتقل إلى الحديث مع من حضر لتبليغ عن تهديم بيته من أجل المطالبة بالتعويض..

أغلق الكتاب مرة أخرى وسرح في فكره للحظة ثم وضع الكتاب على سطح المكتب نظر إلى شاشة التلفاز التي كانت تعرض برنامج الطالع والأبراج الذي يقدمه الخبير الفلكي.. وهو يتحدث ويحدد مصير البشر والأوطان. تأمل.. قليل ثم اطفئ التلفزيون ومد يده تحت المكتب فتح الدرج واخرج رزمة أوراق تصفحهن وقال في نفسه: غداً سأنشر بحثي..

يقظة واخزة تنفض النوم

عليها أن لا تنام.. أن تكون كاملة اليقظة.. أن تنفض النوم، كما تنفض جدتها عباؤها، قبل أن تضعها على رأسها.. تنفض النوم كما تنفض أمها الملابس البليلة نفضةً.. نفضتين.. نفضتين اثنتين معا.. نفضة واحدة.. ها هي تنفض النوم فيتطاير رذاذ غسيل أمها ويغمر ذلك الوجه المكثم الذي كان لها.. أو كانت له، تنتعش الآن وهي تستعيد تلك التي كانت هي.. قبل أن تكون سواها.. الآن والآن أيضا عليها أن تروض يقظةً تغوى عليها.. يقظة ماكرة تشترط قهوةً وشايا سنكينا وسالفة تتعقبها سالفة.. وثم تتلاشى.. تتبخر مثل بنزين في وعاء مكشوف في الحوش.. حين تتبخر اليقظة، تتكدس ثقلا في الجفنين فيتراجع الرأس أو يتطوح... أو ينحني..

عليك باليقظة.. لكن أية يقظة هي التي تعني اليقظة: يقظات مثل المناديل التي تشبه البنات بشهادة أغنية عراقية في مغطس الذاكرة، كانت تدندنها جدتي وهي تعقد جرجدها.. لا أعني اليقظة الواخزة ولا تعني اليقظة المتلصصة.. أريد يقظة مفرصة ترصد المتوقع وتأهب..

تريد النهوض ولا قدرة.. زحفت بينهن وهن ينظرنها مثل الذي ينتظر.. أو يتأهب بكل قلق لاستقبال حزن مجهول.. بيدها كملت فم ابتها هامة: هص.. أص.. أخرسي... قريون جداً.. ويحك صراخك جر

حبلنا ونكاد ان نقع.. هزت البنت رأسها ومن تحت كف امها خرجت
الكلمات: مضغوطة شوهاء..

وهي لاهثة مسكت يد والدتها وازاحت برفق كفها قالت: امي انتهى
كل شي .. تحررنا انا رأيتهم..

- اص.. اص.. انت محمومة وحلمك محموم مثلك. نحن ما زلنا هنا
انظري.. قالت الأم.. تلفت الفتاة حولها كانت وجوه النسوة مثل اشباح
بعيون سقيمة وعيون اخترقها بياض الضفة الثانية..

ورسوماتها على جدران الكهف تقهقه ساخرة.. صرخت: لا.. لا غير
صحيح .. رأيت اننا انتقلنا لكهف آخر.. رأيتُ بعيني هاتين: مَنْ يحملون
عطر النخيل بروقهم تتقدم.. حرروا الربيع فامتدت أغصان المشمش
تصافح الرطب ضحك الربيع حين رأى ربيعاً آخر يصفحه.. ألا تسمعين
يا أمي تهليلة النصر... تلفت ثانية وبكت يائسة: لا.. لا غير صحيح لسنا
في الكهف.. ولكن ما هذا.. ما هذا.. اننا نسيل.. قطرات متفرقة وخطوط
متشابكة صور ورموز في فنجان مقلوب.. على طاولة وثمة شخص ينفث
دخان سيكارتته.. الدخان يعلن: لا للسماء لا للحياة الدخان: قطار محملا
بالارواح.. الدخان في أعيننا عمى آخر، ليل آخر، موت آخر.. الدخان
ممحاة اللون، اللون كان مدينةً وجسراً وعائلة.. الأرض تنفث الدخان..
السماء تنفث الدخان.. الدخان يهبط يلون بيوتنا، ثيابنا، حياتنا، حكاياتنا
ووجهنا بالون.. الغامق.. ها نحن الصامتات نرتشق على جدران فنجان
ناطق بحكاية كائنات البن.

في ليلة تحج إلى ظلمتها الأشباح..

إلى الآن لم أعرف أن الفنجان عالم آخر تسير في شوارعه الكائنات وتحكي قصص الخيال الحياتي، الديني، العلمي.. كائنات مستنسخة تتمرد على الأصل تتلبس اشكالا عدة.. كائنات تحلق احيانا وترحف.. تأخذنا معها تحركنا كيفما تشاء.. بإمكانها ان تجعلنا نبتسم وبإمكانها أن تزرع بروحنا غابات الكآبة.. حين رجعت إلى مدينتي ووجدت أم حبيبتي وقد آوتها احد العوائل وتكفلوا برعايتها بعد ان سمعوا بمصيبتها.. تقدمت إلى العائلة بالشكر والامتنان واخذتها معي إلى ما تبقى من بيتها نظفته وربته.. حين دخلت البيت لم أخبرها انه بيتها.. إلا انها عرفت ذلك فراحت تقول: وأنا اخبتك في شرايني.. عدت استرني بجدران تعرفينها وتعرفك..ها أنا عدت اغرقني في نرف النداءات.. تعالي اعدي لي القهوة..تعالي احكي لي كيف كان يومك.. تعالي شهقة.. اغسلي روحا اتسخت بالغياب.. تعالي يدا..على جبين رأس كثرت به الضوضاء.. تعالي..لا احتمال هذا العمى.. خذي بيدي اعديني إلى العين نورك..تعالي..تعالي.. تعالي.. دارت حول نفسها، خفت عليها أن تتهاوى على الارض امسكت بها واجلستها على كرسي من البلاستيك ووضعت قبالتها طاولة صغيرة من البلاستيك ربما كان فيما مضى أبيض اللون.. وذهبت إلى المطبخ واحضرت لها قرح ماء وضعته

بين اصابعها ورجعت إلى المطبخ اعد القهوة.. وحين انتهيت عدت إليها ووضعت على الطاولة وقبالتها الفنجان.. وآخر بين أصابعي ظل ماكثاً.. أردت أن أدلها عليه دفعت يدي قائلة: لن اتوه عنه.. امسكت الفنجان رفعتة إلى شفتيها ارتشفته رشفة واحدة.. ووضعتة مقلوب على وجه الصحن.. رفعت نظرها الي قائلة: كيف حال أهلك؟ لم أجدهم أحببها وانا ارشف قهوتي. لم تظهر اي استغراب أو اي شعور ظلت صامتة تنظر إلى الفنجان.. أحياناً كثيرة اشك بانها ليست عمياء حتى انني في يوم اخذتها إلى الطبيب لفحص عينيها، فقال الطبيب: لاشفاء لها.. الصفعات والضربات التي تعرضت لها تسببت في انزل الماء الأسود إلى عينيها.. وأتلف الشبكية..

ولكنه أعطاني مرهماً.. لانها تجد صعوبة في فتح عينيها حين الاستيقاظ من النوم.. قلبت الفنجان وقدمته إلي قائلة: انظر ماذا ترى فيه.. نظرت كان الفنجان هادئاً ساكن البياض.. تنهدت في نفسي هامساً: لست على ما يرام.. مغشياً عليه.. سقط الظل على الرصيف.. وأنا هربت.. لا لأنني اخاف الموتى.. أنا مللتهم.. كرهت الموتى.. كرهت الموتى لانهم دائماً يقفون في الأمام.. ونحن دائماً نقف في الأخير.. ونشهد على مدن تبني على عظام الموتى.. الموتى يسخرون منا نحن الاشباح.. الاشباح التي سكنت المدن بعدهم.. المدن كينونة الموت: رحمها.. لست على ما يرام.. قبالي امرأة تبكي بصمت.. وانا السائر في نومي منذ سنين اطارد حلما كانت منذ سنين تطارده.. وكلما قلت اقتربت منه سأمسك به، تغمض عينيها.. أتعثر.. انزل على رمشها حبة ندى.. وأنهض ثانية.. قاسياً مثل صورة على جدار يتأملها طفل مبتسم..

وانا الشاهد.. لكن مَنْ يصغي؟! .. سوى طفل يحبو.. يجهلُ أهله سر
ابتساماته..

قالت: أيكما أصيب بالخرس أنت.. أم الفنجان؟ صمت الفنجان،
صمت أنا.. صمتت هي.. الصمت موت آخر.

في حلمها حمامة:

يبلّني هديها..

استيقظت مذعورة.. هرع اليها بصوت مبسوح... ربما كنت تحلمين..
وضع يده تحت رأسها أجلسها ساندا على الوسادة ظهرها.. دارت بعينيها
فضاء الحجرة.. موجعة وكأنها تخاطب الجدران.. استفيق ويستفيق
الصمت.. مزمننا ربو الصباحات.. كيف لي أن أهتدي.. وكل ما حولي
مسكون برائحة الأنين والتوجع.. صرخة تستعيد فصول الحكاية.. محابر
هذه العيون جف على السطر الأخير حبرها ولا فصل أخير.. كيف تبهر
في الليل فلذاتنا.. آه.. أحاول نوما.. لعلي في الرؤيا أجد بعض نور يأخذ
بيدي إلى ملامح ناءت بوجهها عن الشيطان.. مرتعشة الظلال امشي
إلى ذاتي تنهض من الصور ضحكاتهم والأحلام المؤجلة ورائحة قهوة
الصباح ورنين الأساور والأغنيات.. كلها تمشي معي.. ومن كل الجهات
يطل الندم يسير معي.. أعود أحاول ثانية.. والجمر فوق وسادتي مستعرا
تؤججه آه الأغاني الأخيرة.. أصبح من ألمي فتختفي كل الظلال وبالأنين
يمتلئ المكان.. أتلاشى وتلم صوري الجدران.. أسيل على الزوايا مثل
قطرة دمع بكتها.. وابكي حرقه.. آه.. انشق القلب ولا ساعة تقترب..
ضاعت الهواتف وضاعت الأرقام وضاعا البنت والولد.. ويح روحي

خلقت من أي جلد.. وضعت رأسها بين كفيها محاولة أن توقفه من اتباع بندول لا مرئي.. أقترب منها انحنى عليها.. واضعاً يده على كتفها قائلاً: غدا سأذهب الى السفارة أسأل عنه.. اطمئني فهو بخير.. لم تعره اهتماماً.. رفعت بصرها نحو صوته قائلة: ألا من اخبار عن أسرتك؟. وهو يقدم لها كأس الماء قال: يقال ان شخصاً ما رآهم حين هاجروا خارج المدينة.. وذهب تجاه كرسي سحبه مقرباً من السرير.. وجلس.. هزت رأسها موجعة.. ساخرة..: رآهم حين هاجروا..: ذلك لا يعني أن تطمئن. أشعل سيكارة بينما رشفت هي رشفة من الكأس..: يبدو ان الاطمئنان أصبح حلماً.. قال ذلك وهو ينفث دخان سيكارتته.. هزت رأسها كمن يؤيد الكلام.. قالت: حلم.. كنت اعتقد انه من السهل أن نحقق الحلم متى ما أردنا ذلك.. ولذلك كنت اؤجل الكثير من احلامها.. كانت تحلم أن تكون زوجتك وأن تنجب منك أطفالاً وتكون لها اسرة يسودها التفاهم والسرور..

كانت تحلم أن تزور صديقتها الجنوبية تلك التي أمضت معها سنين الدراسة.. كانت تحدثني بما تحدثها صديقتها عن جمال الطبيعة في مدينتها.. وعن طيبة أهل مدينتها.. كانت تخبرها بأنهم في الجنوب لا يتأملون المستقبل في الفئان..

حين تقلق الام الجنوبية لغياب ولدها فهي تأخذ سبع حجرات من الحصى وترميها في الشارع وقت شحوب الشمس وتلوذ خلف باب الدار تنتظر من يمر ويتحدث مع صديقه أو عبر هاتفه وما يصل لسمعتها من كلام.. يكون ذلك جواب سؤالها. كنت أقول ما أصبرها تلك الام وهي تنتظر ربما لساعات حتى يصلها الجواب.. وأنا دقائق في بيت قارئة

الفنجان أشعرها دهرا.. تنهدت ثانية.. أين ذهبت أحلامها..؟ هل تموت
الأحلام..؟ هل تؤرث..؟ أين تذهب أحلام..؟

وهو ينظر إليها مصغيا بامعان وتلهف تنهد هامسا: أحلام الموتى
تتحول حشراتٍ تشق قلوب الأحياء.

حلمها: حلمي. ولكن كيف أحققه..؟ فرك عقب السيكرة في
المنفضة وأخرج أخرى.. سألتها: هل كنت تحلمين بها حين استيقظتي؟
: احلم بها؟! أنا لا أرى سواها ولا اسمع سوى صوتها.. سكنت بها..
وما رأيته ليس حلما.. الأحلام هي ما نتمنى ونطمح إليه، الأحلام هي
مانفكره وتأمله.. وما نراه في المنام فهو اما ان يكون رؤيا وهي ايضا
تنقل لنا شيئا من المستقبل..وأما أن تكون كابوسا وهو بعض من
حاضرنا الذي لا نراه ولا نعيه اهتماما..ربما لذلك حين يفرض نفسه
على مناماتنا نستنكره..

ذات يوم زارتنا صديقة ابنتي وهي من سكنة الشارع الذي يسبق
شارعنا.. وتعمل معها في ذات المدرسة.. قالت لي:خالة أريد أن
تخبريني ماذا يعني أن أرى في المنام أنني أسير في الشارع او السوق وأنا
بقميص النوم وفجأة انتبه لنفسي وأشعر بالخجل وأظل أبحث عن ثياب
تسترني ولا أجد.. هذه الرؤيا تكرر نفسها على مناماتي؟ كنت أضحك
وأقول لها تعالي معي الى قارئة الفنجان.. تضحك ابنتي أيضا قائلة:
إياك ان تذهب معها ستمنين.. وتضيف غدا سنشتري كتاب تفسير
الأحلام.. ضحكت حين سمعت اسم مؤلف الكتاب: فهو لم يعطني
جوابا شافيا.. يضيعنا بالأحتمالات.. تنهدت..:أرأيت.. الحديث عنها
وبها ينسيني أهاتي.. رأيتها في منامي ترسم على الجدران ولكن لم تكن

جدران كهف.. كانت الجدران مصقولة كأنها في غرفة ومعها العديد من النساء يبدو عليهن السقم وعلى جسدهن انتشرت الكدمات والدماء متخثرة على سيقانهن وشفاههن..

وبؤدن في ثياب شبه عاريات..ورائحة الدم والمني تعج في هواء المكان، وبعضهن معلقات من أيديهن على الجدران ورؤوسهن متدلّية على صدورهن ربما مغمي عليهن من شدة التعذيب، وبعضهن كشفت ائدانهن وبعضهن ممزقات الثياب.. وابنتي رأيتها جالسة مستندة على الجدار ممددة ساقها بانفراجة بسيطة وبين ساقها بركة دم.. تغمس صبعها مثل فرشاة.. وترسم بالدم صور النساء ورسومات مبهمة لم أميزها انتابني رعبٌ فحاولت الاقتراب من ابنتي ولكن ثمة صوت أجش أفزعني حاولت الهرب وكأني اعرف ثمة سلم يصلني الى باب المكان فركضت تجاه السلم بكل قوتي ولم اتحرك خطوة واحدة كنت أركض ولم تتحرك خطواتي صرت اصيح اطلب النجدة اصرخ وأيضا لم يخرج من الحنجرة صوتي.. واستفقت.. وأنا الان بحاجة إلى مَنْ يخبرني تأويل ما رأيت.. صمتت برهة.. ثم : تدري..؟! ملاحقة المستقبل في الفنجان أرحم من ملاحقته في المنام..

هي تتحدث.. هو يصغي مشغول البال.. كيف يخبرها.. السفارة اخبرته : ابنها غادر الدولة التي يدرس فيها متجها الى بلده منذ شهر.. كيف يخبرها : ابنها هو الاخر مفقود ولا يعرفون مصيره.. وثمة من اخبره بأنه قد قتل على الطريق العام.. صمتت قليلا ولبؤبؤ عينيها ارتعاشة القلق شعرت بشيء من التعب.. تنهدت.. ضيقة عين السماء.. الملم سحابات حسرتي وأرحل في مرارة المنام.. مَنْ لي بقميصه أشد به رأسي.. تصطك

بأنفاسي العبرات.. آه.. مثل شرع.. تنطوي روعي، يا ولدي كم اشتهي في
لحظة الأمنية الأخيرة كراتك.. شمك..

أسبلت على الوسادة رأسها وأسدلت الاجفان.. بينما هو ينظر اليها
مستغربا متسائلا في نفسه: هل سمعتني..؟

صدي مكتبة

تدور.. وتدور حولك الدوائر

دوارن البحر.. دواره الريح.. دوران الكتب... المكتبة... المكتبات..
تدور.. فتهوى من العين: عينٌ.. تصفق في القاع.. تبحث عن زهرة،
بددت الريح أريجها .

كيف السبيل.. إلى السبيل؟ مَنْ يوقف سيل الذكريات؟ وهي أنت قبل
أن تتعرف على نفسك.

تبسمت حين ألقيت عليك سؤالي: تبخل عليك.. فنجان قهوة في
كافتريا الكلية!! أجبتني: إلا أنتِ هذا السؤال: ترك..

ضحكتُ: ليتني مثلك. تجمع كل ما لديك.. تقصد السوق لتنفقه في
المكتبة.. وتشتري كتباً وكتباً أخرى.. ما رأيتك طفلاً فرحاناً إلا.. تلك
اللحظة، هل بالكتب كنت تدعك غيمك ثم تكنسه من سمائك فتعود
روحك كالبلور؟ بالله عليك بالكاد نقرأ المقرر.. وأنت كل هذه الكتب:
متى تقرأها؟.

الآن وأنت تقف على كل هذا الرماد في دواره الريح.. بقايا رائحة..
فتحت باباً آخر في الذاكرة..: الغرفة التي كانت جدرانها: مطلية بإنساق

وأرتال من الكتب.. اختضت وارتجت على إيقاع باب يُقتحم.. يتكسر.. ترتجف الكتب.. تلوذ ببعضها ينكمش الشرشف وتسيح تفاحته الخضراء على جسد سرير صغير في الركن الأيسر للغرفة.. بهت اخضرار الأغصان اليبانة في بطانية بنية اللون والوسادة شاحب لونها.. مكتب صغير يلاصق النافذة توفر رؤية عين الكاميرا للرائي.. ارتجف قليلاً ومعه ارتجفت: كتبٌ أوراقٌ عذراوات وأوراق ثيب، حزمة أقلام مغموسة في مقلمة من سيراميك أزرق، قشور برتقال في صحن مهجور.. لا مرثيات ارتجفت... ثم حلقت.. دارت في سماء الغرفة دورة.. دورتين.. ثلاثا.. وبرت ذمتها واختفت..

الجمادات ارتجفت هلعاً.. الجمادات صدمتها غرابة الأصوات والعيون المعدنية، الجمادات انكشمت في خوفها من غرباء همجٍ ورعاع.. خوفٌ يملأ مسامات كل الموجودات..

الجدران تتن.. كأنك تسعمها تتن.. صفقة أسرى جاهزة للذبح حسب مشيئة الجزار.. ومن الجهة الثانية للجمادات: تتسرب أصوات دافئة نظرات حانية كركرات طفولة، مهابة أب.. صدى أنامل ناعمة.. لمسات عطرة.. فرغت الجمادات من شعرية الألفة وطمأنينة السكون.. للنافذة ارتجافة صارخة.. خلف ثلثة من نافذة تصدع زجاجها ثم تساقط.. كابت ثلثة زجاجية واحتمت بصمودها في خندق إطار النافذة.. الزجاج جدار حيادي لا يمنع الرؤية ولكن يحرمك الملامسة: كف تبصم الزجاج، كف تبصم الزجاج من الجهة الثانية.. ثلثة من زجاج في الإطار، أطفال الزمن تتأمل من خلالها أغبرة الكارثة وإنكفاء الموازين واسترخاء العقد الاجتماعي العالمي.. الذي يحتمي الكابجينو ويدخن البايب ويتشاب

في رقعة الشطرنج.. والشرق هو حمّامات النساء والرقص الشرقي وعين الصحراء.. الحشيش والغلمنة في سفر الاستشراق.

الآن أسألك: أين شجاعة الجدران؟ من سلبها حتى تلك الومضات النحيلة؟

..لماذا حين سألتك عن كل هذه الكتب، رحت تتأملها كتاباً كتاباً، كأنك قلت لي عفوا - عينك قالت: الكتب: أنا!! لماذا الكتب وحدها أناك؟ لماذا ليس أنت أناك؟ أنا نفسك؟ لولاك ما تسربت الكتب فيك أنت أضأت الكتب بأنوارك: نور العين - القلب - العقل.. كيف تقول لي: كل المؤلفون يقفون في زاوية الغرفة بينما تصير الكتب: أناك.. بالله عليك لماذا الزاوية: حيز الجميع.. أشكلت عليّ الأمور بسبب أنويتك المعرفية.. نحن الآن بأي توقيت فهرنهايت؟..من المؤكد تجاوزنا 451 درجة في طبعتها الأولى 1953..ذلك المعطف الروسي.. روسيا القرن التاسع عشر معطفٌ لا غادر السرد ولا غادرته النفوس الميتة ومكث غير بعيد عن يوميات مجنون.. وتراس بولبا..

..دوران الأفلاك..يوم..يومان وندخل / يدخل مغيب الثريا.. وندور ندور في ثريا النص وحولك الذاكرة..مَنْ يدور على محور مَنْ؟!..الذاكرة..الذاكر..الطرقات..المباني..الأغاني..الأصوات..المرثيات وأوشال الضحكات.

ها نحن نسير معاً أنا وأنت والكتب المحمولة بذراكتك.. قدماك تتقدمني.. قدماك.. نحو الطلل الذي كان غرفتك.. أنت ثابت.. قدماك تتقدمان نحو الفضاء الذي كان يحتويكما: أنت وما تقرأ.. هل هذه شعرية العمر..؟!

الأرض ملطخة ولا أقول مغطاة ببقية الأسود / الأبيض.. صفحات
بيسة.. صفحات سردها مغطى بمسردات وحل وصدى أحذية ونداءات
طبيعة بشرية من محتويات المثانة والأمعاء.. هانحن وجهاً لوجه مع يوميات
الأذى في مدينة الكلمات.. ماذا يجري يا ألبرتو مانغويل.. لتكن عنايتك
مركزة، ربما تعين بورخس ضد مايتساييل من بنطاله رغماً عنه.. بهدوء
ألتفت وكأنه يراه وهامسه: كان عليهم أن لايفتحوا نافذة العرب على العالم:
في ذلك مرايا ومتاهات- تأمل الصانع الذي وسم السيف- لحظتئذ مانغويل:
يتصفح قاموس الأماكن الواهمة / الوهمية.. أماكن الإنهمام.. بمحاذاة
حذاء مانغويل: مزق من جريدة ملوثة، لكن وجه تلك الرواية التي حازت
نوبل لوقفها الشجاعة ضد التمييز العنصري: وجهها يعلو مع يدها التي ترفع
كتاباً: لا شيء يعوّض الكتاب.. خطر كبير إذا أختفى الكتاب.. جريمة إذا
حلت العنكبوت وحولت الكتاب فراشها العسلي الموبوء.

ضوء.. ضوء مثل ماء يتدفق.. صوت يرفع يديه احتجاجاً.. ضوء
وصوت وأشياء أخرى تطوف في حدائق الوجوه برفقة عابر إستثنائي
ويحدث ذلك كل صباح.. وكل يوم يرتفع قصر الأزلزمني وترتفع معه
شجرة البمبر.. على مبعدة قصيرة المدى صوت يستنكر: لسنا حياةً مجففة
الذكريات في منزل الأموات فالشياطين مذلون مهانون.. أبحر أيها الشيخ
سانتياغو قد تهزم ولكن لا تقهر..... ثمة صوت يتمطى: قيلولة الثلاثاء
أيقظني صوتك فأنبأني قديسة: أنني سأؤجر نفسي لكي أحلم.. أحلم
كيف أرفض أن أولد في محرار.. فأراني أجمل غريقاً في العالم بتوقيت
صراخ النوارس.

من أجهض الرفوف فترامت مرمدتها السريعة الانتشار على الأرض

المداسة بالملوثين.. هاهو الرماد.. مارد يستيقظ فتستعيد في عينيك عافيتها النار.. الأصوات تنتشر: دخان يغشى الناس.. ولا يغشى.. الدخان يعلو.. وتعلو معه.. الصفحات التي بفعل النار.. هجرتها اللذة الندية.. تهاوت إلى الارض.. رقة من فتيت أبيض.. ثمة صفحات نجت من المحرقة.. صفحات ناشت النار حوافها.. التقطت أنت عنوانها (مكتبة التكرلي).. أستوقفتك العبارة الآتية: تنمو كلما كان استقرار صاحبها مكينا، وتقف عن نموها وتهزل كلما أهتر ذلك الاستقرار وضعف، حالها حال المدن، فالمدينة تنهض بالاستقرار وتنتهك بالأزمات.. لحظتها أنت التفت.. لحظتها عينك خاطبت عيني.

: عيناى قالت لعينيك: لاتحاول.. جنوب بلا شمال في مكتب البريد.. الكتب غدت صرخة إحتجاج مبسوطة مجروحة مدماة.. ضمّدها بنظرتك الحانية، سترى كيف تؤول النهايات حقل رماد.. أمدد بصرك: لا تعض عليه بأجفانك.. ربما تضيق: المسافات.. الضوء.. الرؤيا..

أينك؟ أين ذهبت؟ مَنْ أسقط في الفنجان رأسك؟.. صوتك؟ عينيك؟ مَنْ أشعل فتيل الحناجر..؟ أصوات تبحث عن مركبة وقودها الريح وحجمها.. لم يكن يرغب بممحاة البول وطين الأحذية.... زحف نحو النار: التهمها ونام..

النيران تحتطب الكتب والتماثيل وأضرحة الأنبياء، الكنائس، المعابد.. وثمة مَنْ يصرخ:

- ماتزال الجريمة في نومها، أنا الشاهدة والزنجي ..

أيها القلب الواشي الحشرة الذهبية أضحت قطعاً أسود ..
آزره صوت أحترق الدخان: أننا لو زُ يفرقع في مدفأة
صوت يجرجر نفسه من المحرقة: أصبحنا وليمة متنقلة.
آه.. عطشى أنا.. مَنْ لي بفنجان من القهوة السوداء؟! ..!

.....

.....

مرُّ نبذ الذاكرة.. والحلم .. الأمنية : مران .. المر يوسق الحكاية
كلها.. أي ريح تدفع بك.. لخطوتك نكهة التوجع.. الصمت: رماد روحك
المحترقة لهفة.. تيهها.. من اوهمك بهذه المحرقة.. تحترق لكي تصل..؟

.....

انحنى بصره على الامير الصغير الذي انغرس نصفه بالطين.. بصره
منحني.. دار في المكان بحث عن.. لم يكن في الأرض سوى الرماد..
آه.. أين وردتي.. زهرتي.. أين وردتك أيها الأمير.. وأنت تشرأب بنصفك
ظلا يحرس رمادا: التراجيديا الصغيرة: ستكبر.. النار تكبر..

تحترق.. وحولك تحترق الداوكر.. المباني... المؤسسات.. الظلال
تحترق ولا مراثيات.. الاحترق دوران آخر.. دوران الأشياء في كينونتها
المتهكة.

مفردُهُ بين قوسين

على حافة شارع بعيد جداً إنتشرت أجسادٌ ملونةٌ بغبرة التيه.. أجساد متحركة.. من شدة الرعب: كأنها أطفال متعثرة الخطى.. تضيع في خطوط الحيرة ملامح الوجوه.. إنسلخت من كف امرأة: يد صبي.. هرع تجاه شيء لمع في عينيه.. صاحت: إياك.. تلمسه، كل شيء حولنا تنز منه رائحة الموت.. إياك.. لم يصغ.. انحنى والتقط: كتابا بين دفتي غلافٍ من جلد بني حكمه مشبك بلون بهتت لصفته الذهبية أمزجة الطقس.. تصفحه.. تأمل سطوراً.. قرأ بصوت عال:

: لم أكن سعيداً حين استيقظت من حلمي لم يبد لي مشرق صباح هذا اليوم، كان علي العودة قبل صباح النبوءة الأولى.. علي مغادرة حلمي الأول، كيف استسلمت لسحر غريبة أوهمتني كنوزها فصرتُ ابحت عن مفاتيها بين أضغاث الذين تركوا عيونهم مفتوحة.. تتأملنا صامتةً وتضحك سراً من وهمنا الذي وهبناه كل حقيقتنا نحن المجردين من المستقبل ننزف حاضرننا لنغذي شريان ماضٍ تخثر..

بيدها صفت ما بين كفي الصبي، فتهاوى أرضاً مثل فم خذله العتاب.. طوقت معصمه: حذرتك من لمس أي شيء.. عليك ان تسير.. معي وتسرع قد يسبقوننا ويضيعنا الأمل.. وهو يفغر فمه دهشا: لم أفهم شيئاً

مما قرأت، ماذا تعني تلك السطور؟ وهي لاهثة الخطى: تعني متاهتنا هذه. ولأن إجابتها معصوبة العينين بالنسبة له!! ابتلع أسئلته وتسارع.. يلحقها شخص آخر قووس الفضول ظهره فالتقطه.. تصفحه.. تأمل صفحاته التي امتدت عليها سطور الكلمات بالحبر الازرق الغامق.. قلب الصفحات.. وضع بين الغلاف والصفحة الأولى أصبعه.. ثبت على الكتف حقيبته وحرر يميناه لتساعد يسراه بحمل اللقيا.. تأمل السطور.. كمشت الدهشة ملامحه.. رآه ينهض من بين السطور.. شاب غض الملامح.. حنطي البشرة، عريض الصدر، طويل القامة.. بقميص أبيض ناصع وجاكيت بلون الحبر وبظال رمادي.. جفلت عيني الشخص.. أراد إغلاق كفيه.. سمع صوتاً متوسلاً يطالبه بالترث.. وسماعه.. تردد قليلاً.. نظر إلى ما حوله.. خاطب نفسه متسائلاً:

: ما الذي أدهشك؟ أربك؟ أنت السائر بلا روح توهم النسوة والأطفال بظل.. حي. أبعد السبابتين عن بعضهما ومعهما ما يقابلهما من أصابع الكفين فاشرفت بعينه إبتسامة السطور. الشاب ما زال واقفاً بين السطور ينظر بتوسل إلى عيني الشخص الآخر اللتين أوعزتا له بالحديث.. فرح.. بملامح مغيمة. تنهد:

: بين امرأتين ولدت.. نشأت وترعرعت بين عاطفتين عظيمتين طوقتني مثل مفردة ضعيفة بين قوسين. وكلما أشد أزري: ضاق الطوق، شعور جعلني متمرداً عليهما فقررت التحرر.. أردتني مفردة قوية، أردتها تمتد جملة.. أسطورة.. ولا تحرراً بلا هجرة. فقررت السفر والدراسة خارج البلاد، من هنا إنطلقت أجنحة الحكاية.. أرتشف الحلم رحيق الخطى.. ومضيت ألاحق حلماً أنا راودته.. وكلما قبضت عليه وغرسته.. يغمزني

حلم آخر.. لم تكن أحلامي عسوية ولا حروناً.. كانت بسيطة جداً وربما
رأها سواي سخيفةً، أعني لم تضيف للعالم شيئاً مميزاً. ربما لأنني مفردة
صغيرة تحررت من قوسيتها أرى كل ما هو خارج القوسين حلماً.. تنهد
الشخص الآخر.. حك رأسه.. قلب الصفحات وقفت عيناه على صفحة
دون تعين: حريتي معلقة بين حاضر عذب وماضٍ ظمآنٍ وكنت دون ان
ادري.. أمضي.. أروي الظمأ بالعدوية.. هكذا ضاع حاضر الخطى ولا
مستقبل دون حاضر.. الشخص الآخر يحثه فضول.. قلب الصفحات
وقف على صفحة أخرى دون تعين..

: صديقي الذي غادر البلد معي لندرس علم الآثار ولغة العوالم
الغابرة أحب امرأة اجنبية وقرر الزواج والإقامة في بلدها غير مكتث
لأي شيء خلفه.. ربما لأنه مطمئن: عائلته والده.. أمه.. أخوه ضابط في
الجيش. وانا أتأمل ذلك اكتشفتُ أنني مازلت بين قوسيّ امرأتين.. تنهد
الشخص الآخر قلب صفحاتٍ وكأنه يستعجل النهاية وقف في الصفحة
الأخيرة.....

: لم تكن رؤيا.. أيقظني بكاؤها.. عصرني قلبي في قبضة القلق.. أنا
ممدد في سريري مددت يدي تناولت الهاتف ..

من هناك أجابني بكاؤها: أخي.....

إن تأخرت في المجيء لن تجدنا.

أرعبك كلامها نهضت وحزمت حقيبتك وانتظرت بعض الوقت ذهبت
وربتت أوراق عودتك لبلدك.. وبعد عدة أيام.. في كل يوم أنت تحاول
الاتصال وكل محاولتك فشلت.. أعني أفسلها فالخطوط صم بكم.

استطعت السفر وها أنت بكل قلقك تصعد الطائرة وتحاول مشاغلة وقتك بالكتابة والترجي.. الآن بمقدورك أرض بلادك... الآن ستغادر الطائرة.. ها أنت في تكسي نحو مركز المدينة ومنه للبيت.. السائق حين سألته عن.. غيرت ملامحه وأجابك: اتصل بعائلتك الآن.. أفضل...

لكنك لم تكثرث لكلام السائق... الذي أنزلك في مركز المدينة، وأنت تبحث عن سيارة أخرى لتوصلك للبيت.. فوجئت برفض كل أصحاب السيارات.. ويبدو أن التعب والقلق اللذان أثقل حملهما كاهلك كانا واضحين فاقترب أحدهم نحوك مشفقاً: أنا لذي شاحنة نقل البضائع وسأذهب إلى مدينة طريقها قريب على المدينة التي تريد.. سأقلك معي.. فرحت وشكرته وانطلقتما.. في الطريق أركبك كلام السائق عن المدينة.. أغلب أهل المدينة هاجروا ومن لم.. استعبد واغتصبت النساء وذبح الرجال.. لم يكن عقلك مهيناً لصدمة بهذا الحجم هو يحكي وعقلك يمحو ويحلم بلقاء أمك وأختك الكبرى.

فجأة صاح السائق: لا.. انهم يقطعون الطريق.. ماذا نفعل.. سألته من هم؟ لم يجبك ظل حائراً متلفتاً وكأنه يتمنى العودة.. سألته هل تنوي العودة إلى مركز المدينة؟ أجاب دون ان ينظر اليك: ليتني استطع.. ان فعلت سيطلقون النار علينا.. والتفت نحوك قائلاً: ما ديانتك؟ ابتسمت.. وبماذا تنفعك؟ قال وقد شحب لونه: سنموت بكل الأحوال. وأنتما في تلك اللحظة.. تقدم إلى السيارة بعض الشخصوس لم تر مثلهم في قبور نبشتها من اجل الدراسة.. أمروا السائق بالترجل وأنت معه.. حين ابتعدتما عن الشاحنة رأيتما جثثا وسمعتما صليات بنادق.. ربما كان إطلاق النار يجعل من الله كبيراً.. إذ أنهم مع كل أزيز يصيحون فرحاً: (الله

كبر). ها هو يقترب منك يسألك عن ما تكتب.. ربما هذه آخر كلمة كتبتها
أنه أمسك الكتاب أنه لم تكن النهاية تلك النقاط بل كان خيط حبر سال
ترافقه نقطة حمراء..

انتهت السطور .. غاب الشاب .. الشخص الآخر ظل باهت النظرة ..
شفته السفلى تخلت عن رفيقتها العليا، السير السريع والقلق وهذه
السطور وجعل ريقه يستجدي قطرة لعاب حاول جاهدا ابتلاع ريقه لكنه
لم ... حاول مرة أخرى..

خيط الحبر والنقطة الحمراء سالا وامتزجا وانزلقا خارج حدود
الورقة .. هبطا تجاه الأرض قطرة.. قطرة..

سمع صوت: انه يتهاوى انه يقع .. ماذا أصابه؟ وصوت أخرى ربما
مات فهو مريض بالسكر .. وصوت باك ويد تحضنه وتقلبه جاعلة وجهه
إلى السماء .. اليد تلونت .. صرخ الصوت الباكي: دم.. أنهم قادمون..

تفرقت الاجساد المتحركة ما بين راکض ومتعثر ومختف .. الكتاب
على حافة الشارع البعيد ملقى تقلب صفحاته الريح .. تجاوره بركة حمراء
وعين مشرعة الأجفان..

لولا الماء والنار: أبكم هذا الفنجان ..

فنجان أبكم.. بلغة الإشارة يحكي: واحدة تستطيع سماع الكلام المقفول: ظلمة خانقة تثقبها عيون ذئاب.. الظلمة تمتد: خنادق / سراديب/ ساتر غريب ممدود: على جانبيه رؤوس مبتورة الجسد تتبادل عيونها الحكايات.. الفنجان يهمهم: واحدة تستطيع فك قيد الهمهمة وتحرير الكلام..

عين ثرثارة: وحدها بلا بدايةٍ مثل يوم امرأة قلقة.. مثل شمعة تنزلق إلى ذاتها تلتهم ظلمة متهاية لاتهامها.. الفنجان يشير..: الرمز يفتح أبواباً أخرى..، يمزق وثيقة الحلم ويصيح: لقد فقدتِ غفوتك ثانية.. الفنجان يحكي: حيوانات جباها عريضة تتقدمها ذوات الجباه الضيقة، تحاكي خطاها أوراق الخريف.. تجيء وتزيح الصوت.

أفعى وعشبٌ كثيف ثمة من يشعل نيراناً.. متفرقةً مثل ضوء نوافذ.. مثل مفرقات مضيئة ترتفع في الأماكن العميقة - وتلتف مثل حلقات زحل تضيق وتتسع مثل فم نهم تأكل الاكباد.. وترتك ورائها غيمة من طيور عطشى... الفنجان يؤشر: واحدة بيدها مفتاح الكلام المقفول.

الرمز.. غامق اللون.. حزن كبير جداً يقرع الطبول.. مثل (دما

المواكب) وقفتُ لأصف له ليلاً بلا نوم.. الفنجان إستوعبَ ما يقلقني..
أتأمل تدفق القلق...، الأنهارُ التي تجلبُ النخيلَ والأشجارَ.. على
الحدود، تطيح بقوة السيل... فيرتفع في الأفق ناي النعي العتيق، خارجَ
قارعة الرمز امرأة تتجرع كأس الصبر، تملأ الفراش بالجمر... وعلى
مقصلة القلق تعلق عينا..

الفنجان: رسام سريالي: الرمز.. صورة أخرى، يتسع الفضاء للعين
تتضح الصورة: صوتاً.

الصوت على الجدار البلوري يعكس خطى رجل بدأ بالبناء حنجرة
لصبح جديد

براعم خضر: ابتسامة الأرض.. أمنية تمر من خلال كل ذلك وتتيه..
ليلٌ يمر من خلال عيونهن ويجف.. تمر الرموز كلها.. ولم يمر.. عن
الافتدة.. بعيداً جداً باعث الطمأنينة..

الفنجان يرسم: الرمز.. يفتح أبواب الهامات.. تطير الطيور
العطشى....، تواجه السماء أذناء تدر دعاء ساخنا.. تتجمر روحا وتنطفئ..
مبتكرة طريقة أخرى لصد الشهب..

كي لا توقظ الحقائق.. قلبت الفنجان، واستحضرت الصمت....
ذهبن.. إلى البيوت يحملن الأبناء..

وانتظرتُ هي من يأخذها من يدها ويظهرها للآخرين.. ويقول:

.....: لم يحضر الشخص

ولم يقل شيئاً ولا وجود للآخرين

وماهي إلا رموزٌ في فنجان مقلوب !!

ما بعد السرد .. ما قبل البن

الصورة الفوتوغرافية، حين نلتقطها في وطننا لن تكون نسخة طبق الأصل عنا أو... عن طبيعة الأشياء.. لأن اللامرئي أصبح محسوساً ليس كطبقة فوق البشرة الجلدية بل متدفق في ملامحنا وما حولنا.. وما سرده كافكا في أوائل القرن السابق.. صار في أوائل هذا القرن ولحد ما بعد هذه الكتابة هو اليومي والميداني.. وأصبح الإنسان حقلاً ضمن تسلسل حقول: الألغام - التجارب - النفط - سماواتنا: مطر أسود .

أهوارنا: شوارع مبلطة.

أولادنا: سعاداتهم في الإستشهاد دفاعاً عن البيت وأنفاسه المعطّرة بالعراق.. وسط هذه التضادات.. وسط سيادة اللامؤتلف.. يكون السرد الواضح الملامح: أفك يفترى.. تلفيق ينافس الاعلاموجيا.. إبرة مورفين ترفضها الأم التي لديها أولاد ذهبوا ليقوموا اعوجاج الجغرافية الطارئة.. سيعود أحدهم وسيحمل في ذاكرته أخوته والوجوه التي تشظت.. الوجوه المنوّرة بعزيمتها.. والخرائب الخراب الغراب الخبر اليقين وتتداخل حروف الكلمات ولا تنسجم إلا بالمختلف منها.. هكذا اقتحموا ذاكراتي ولا أقول ذاكرتي هؤلاء الشخوص وأقاموا في يقظتي ومنامي في غرف البيت والحديقة.. وهم معي وأنا في المركبات من البيت إلى العشار

من البصرة إلى المدن العراقية.. يترجلون من الشوارع ومن الصور
ويستعيدون بهجاتهم الأولى ولا يرى ذلك سواي فقد وثقوا بي وأحبتهم
فأنا الأم والأخت والبنت والجددة والحفيدة وكلهم يترجلون عن صورهم
المنتشرة على كل الطرقات.. ويهمسونني بمفاتيح أقفال يضعونها في
راحتي: فراشات.. تهبط الفراشات سرود مرقطة مثل أكفانهم القتالية..
فتيقنت لامسافة بين كائن نصي وكائن بشري.

لا فرق بين الغرائبي الذي مسّخ حياتنا وبين الواقع المتراجع في
شبحيته.. كل حرب لها أشباحها الذين يطوفون في كل الأمكنة والأزمنة
نسمع حركتهم في أبواب الغرف والبيوت.

في صوت حنيفة منتصف الليل.. يبارق عالية تتحدث فيما بينها في
ليل ساكن.. موتى يعاتبون الأحياء.. وشهداء ينظفون حياتنا بدم طاهر..
إذن علينا أن نسرد صرخة المقاتل وهي صرخة طرية غير قابلة لتجفيف..
فالتواييت ليس للملائكة.. العراقيين والعراقيات حصتهم من العلم على
صغرهم تتكاثر على إجسادهن سوادا ينافس الليل ولا يشبه سواد سخام
القدور..

من هنا سيكون البن خرائط مسردتي ومن فتيت الفناجين المتخثر تطل
وجوه.. لتزيل تجاعيد الحاضر.. وضعت لكل حيز من الفضاء النصي
اسما بصيغة عنوان فرعي، وعليك يا قارئة / قارئ النص أن تشاركنا
بتسمية شخص روائي، حسب مكابدا تكما بما جرى ويجري.. في هذه
البقعة التي ابتلي جمالها البهي: بعربات النار.. فتحشدت بغيرتها ملائكة
العراق وأنبجس سخاؤها العراقي: قانياً وارتفع سوراً أخضر دفاعاً عن
عراقية العراق ...

السيرة الذاتية

بلقيس خالد

شاعرة وإعلامية

- امرأة من رمل / دار الينابيع / دمشق / ط 1 / 2009
- بقية شمعة قمري / هايكو عراقي / دارالينابيع / دمشق / ط 1 / 2011
- سماوات السيسم / دار ضفاف / بغداد - دولة الإمارات المتحدة / ط 1 / 2013
- أسست وترأست: منتدى أدبيات البصرة: 21 / 9 / 2016

خطوط الفنجان

- الإهداء 5
- كائنات البن 7
- لا تستطيع الانضمام إلى الصمت: شمس النهار 8
- صببتُ قهوة في الفنجان: أشرقت الأشرطة 13
- على خطوط البن، امرأة تتعلم ثانية 16
- زهرة برية في دخان الأزياء 18
- بتلك العشبة: أفود جهاتٍ نحو بوصلتي 22
- الأشجار التي تنتظر...: تباغتها الريح 27
- بذرن بالصوت الحجر.. أينعت أغصان الحكاية 30
- حبة ندى.. لا شمس لفجرها: دمعتي 33
- لصّ يلبد: حدسٌ بني في شفة الفنجان 35
- في فم الحكايا: ظلامٌ مصفى: صمتهن 39
- كلما قلبتُ فنجاناً سكنيني أرقاً جديداً 42
- فكرةٌ ملغزةٌ، أعود وأفكر ثانية 47
- تيسس ريقها: تكسر زجاج الروح في عينيها 51
- لا تكتشف الأشياء: بعينيك 55
- رهينة فنجانٍ: هكذا أتذكرني 59

67	أكتبك.. لأعيد زهوة وجهي
75	يقظة واخزة تنفض النوم
77	في ليلة تحجج إلى ظلمتها الأشباح..
80	في حلمها حمامة: يبللني هديلها..
85	صدى مكتبة
91	مفردة بين قوسين
96	لولا الماء والنار: أبكم هذا الفنجان ..
98	ما بعد السرد .. ما قبل البن
101	السيرة الذاتية